شبكة الألوكة
www.alukah.net

مكتبة الغازي خسرو بك

مخطوطة

القول العلي لشرح الأثر المروي عن سيدنا الإمام علي

المؤلف

محمد بن أحمد بن سالم (السفاريني)

شبكة الألوكة
www.alukah.net

كتاب القول العلي لشرح الاثر المروي عن سيدنا
الامام علي بن ابي طالب كرم الله تعالى وجهه
تاليف العبد الضعيف المفتقر لمولاه العلي
محمد بن احمد السفاريني الاثري الحنبلي
عامله الله بلطفه الخفي والجلي
ببركة سيدنا علي

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله اجمعين اما بعد فقد وقفت على هذا الكتاب وهو [illegible]
بعدن في هذا المجلد وقفا عينا لا يتصرف فيه الا فيما وقف لاجله على من يشتغل به من
طلبة العلم من اولاد بني الذكور الموجودين وممن يحدث بعدهم ثم من بعدهم فعلى طلبة
العلم من بني الاناث ثم من بعدهم فعلى طلبة العلم من اهل [illegible] وشرطت من البدء
الوقف عليه وجعلت بصفة ما ذكر لروح بنتي مهيبة والنصف الآخر لروح
زوجتي المرحومة خيفة هي خشبة بنت الحاج حسين الرحبي وقفا عليهما
وجعلت النظر عليهما لاولادي ثم لاولادهم ثم لاعقابهم ثم لاعقابهم
المذكور من بعدهم ثم على اتقى المسلمين واشرفت على [illegible] فانا بكل الاوصاف
المعتبرة شرعا واقا الفقير مصطفى بن احمد بن حسين الرحبي غفر الله لهم
ولوالديهم ولمشايخهم واقرانهم وجميع المسلمين
آمين

[illegible]
[illegible]

بسم الله الرحمن الرحيم وبه ثقتي وعليه توكلي ولديه تضرعي وتوسلي

الحمد لله الذي امتن على حملة العلم بالفضل والسيادة ومنحهم الحلم والصبر على تعليم العالمين ورزقهم التقوى والعبادة وجعلهم في الدارين ائمة وقادة يهتدي المهتدون وبعمل العاملون ولولاهم ما عرفت الاحكام ولا ميز الحلال من الحرام ولا عرف الورع ولا الزهادة فهم نجوم الهدى ومصابيح الدجا وشموس الدنيا واهل الفوز والسعادة واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له لا في ذاته ولا في صفاته ولا في افعاله ولا في اقواله ذو الحياة والعلم والكلام والسمع والبصر والقدرة والارادة واشهد ان محمدا عبده ورسوله وحبيبه وخليله الذي خصه من بين خليقته بالنبوة والرسالة والمشافهة من فوق السبع الطباق فيالها من منزلة تقاعست عن ادراكها السادة صلى الله عليه وعلى اله واصحابه وانصاره واصهاره واحبابه اهل الخلافة والبيعة والسقاية والرفادة وعلى التابعين و تابعيهم والائمة المجتهدين ومقلديهم الذين بذلوا نفوسهم النفيسة في تهذيب الاثار وتحرير الاخبار واحسنوا كل الاحسان فلهم الحسنى وزيادة وبعد فيقول العبد الفقير لرحمة ربه العلي محمد السفاريني الحنبلي قد سنح في خلدي ان اكتب على الاثر المروي عن سيدنا امير المومنين الامام علي كتابا موجزا ملتقطة فوايده من كتاب الامام العلامة شمس الدين ابن القيم المعروف بمفتاح دار السعادة واضم اليه نكتا واخبارا وحكايات واثارا تفضح الجمان في القلادة وسميته بالقول العلي لشرح اثر الامام علي وعلى الله تعالى اعتمادي ومنه المعونة استمد ولفظ الاثر كما اخرجه ابو نعيم في الحلية وغيره عن كميل بن زياد النخعي قال اخذ علي بن ابي طالب رضي الله عنه بيدي فاخرجني ناحية الجبانة فلما اصحر جعل ينفس ثم قال يا كميل القلوب اوعية فخيرها اوعاها فاحفظ عني ما اقول كل الناس ثلاثة فعالم رباني ومتعلم على سبيل نجاة وهمج رعاع اتباع كل ناعق يميلون مع كل ريح لم يستضيئوا بنور الله ولم يلجاوا الى ركن وثيق العلم خير من المال العلم يحرسك وانت تحرس المال العلم يزكو على الانفاق وفي رواية محل العلم والمال

تنقصه

تنقصه النفقة العلم حاكم والمال محكوم عليه ومحبة العالم دين يدان بها التعلم يكسب العالم الطاعة في حياته وجميل الاحدوثة بعد وفاته وصنيعة المال تزول بزواله مات خزان المال وهم احياء والعلماء باقون ما بقي الدهر اعيانهم مفقودة واشخالهم في القلوب موجودة هاه ان ها هنا علما واشار بيده الى صدره لو اصبت له حملة بل اصبت لقنا غير مامون عليه يستعمل الة الدين للدنيا يستظهر بحجج الله على كتابه وبنعمه على عباده او منقادا لاهل الحق لا بصيرة له في احيائه ينقدح الشك في قلبه باول عارض من شبهة الا لا ذا ولا ذاك اومنهوما باللذات سلس الانقياد للشهوات او مغرى بجمع الاموال والادخار ليسا من اهل الدين اقرب شبها بهما الانعام السايمة كذلك يموت العلم بموت حامليه اللهم لا تخلي الارض من قايم لله بحجة لكيلا تبطل حجج الله وبيناته اولئك الاقلون عددا الاعظمون عند الله قدرا بهم يدفع الله عن حججه حتى يودوها الى نظرايهم ويزرعوها في قلوب اشباههم هجم بهم العلم على حقيقة الامر فباشروا روح اليقين واستلانوا ما استوعره المترفون وانسوا بما استوحش منه الجاهلون صحبوا الدنيا ببدان ارواحها معلقة بالملا الاعلى اولئك خلفاء الله في ارضه والدعاة الى دينه هاه هاه شوقا الى رويتهم واستغفر الله لي ولكل اذا شيت فقم قال ابو بكر الخطيب هذا حديث حسن من احسن الاحاديث معنى واشرفها لفظا انتهى ولنقدم على الكلام عليه قطرة من بحر لجي من ترجمة الامام الهمام علي بن ابي طالب رضي الله عنه هو علي بن ابي طالب واسمه عبد مناف بن عبد المطلب واسمه شيبة الحمد بن هاشم وهو عمرو بن عبد مناف واسمه المغيرة بن قصي واسمه زيد بن كلاب واسمه حكيم وقيل عروة بن مرة بن كعب بن لوي بضم اللام وفتح الهمزة وتشديد الياء على الاكثر وقيل بلا همزة وقد قيل ان لوي هو قريش و لكنه ضعيف جدا ابن غالب بن فهر بكسر الفاء وسكون الهاء وهو جماع قريش في قول الكلبي وغيره من العلماء في انساب العرب وانما سموا قريشا لانهم كانوا يفتشون عن خلة الناس بفتح الخاء المعجمة اي حاجتهم وفقرهم يعني ينقبون عنها ويستعملونها

ليغرهم وسيد واخلتهم [illegible] من تقارشت الرماح اذا تداخلت في الحرب لان المستعلم
المستجير داخل احوال الذي [illegible] ليحصل له مقصودة وقيل ماخوذ من
التقرش وهو التفتيش لانهم كانوا [illegible] اج فيطعمون الجايع ويكسون العاري
ويحلون المنقطع قال الجوهري القرش [illegible] ج وقد قرش يقرش بالكسر قال الفرا
وبه سميت قريش وقيل سموا بدابة عظيمة في البحر تاكل الدواب اسمها القرش وغير
ذلك وابو فهر مالك بن النضر بفتح النون وسكون الضاد المعجمة واسمه قيس وجزم
في الصحاح بانه هو قريش وابو النضر كنانة بن خزيمة بضم الخاء المعجمة وفتح الزاي بن
مدركة بضم الميم بن الياس بالمثناة تحت وسكون الهمزة بعدها واخره سين مهملة
وقيل فيه بالتعريف منقول من الياس الذي هو ضد الرجاء على الاصح كما قاله السهيلي
خلافا لما قاله ابن الانباري من انه مكسر الهمزة وله بالالف بعد الياس من غير همز
كما هو اسم النبي المشهور واسم الياس حبيب بن مضر بن نزار بكسر النون وبالزاي
واخره راء من النزر وهو القلة لان اباه لما راى النور بين جبينه وهو نور النبوة
الذي انتقل من صلبه فرح وتخرا واطعم وقال هذا انزر في حق هذا المولود
ونزار بن معد بن عدنان الى هنا انتهى النسابون قال عز وجل وعن ابن عباس
رضي الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا انتهى في النسب الى معد
ابن عدنان امسك ثم قال كذب النسابون قال عز وجل وقرونا بين ذلك كثيرا
يجتمع الامام علي رضي الله عنه مع النبي صلى الله عليه وسلم في عبد المطلب فهو
ابن عمه صلى الله عليه وسلم يكنى رضي الله عنه ابا الحسن وكناه المصطفى صلى
الله عليه وسلم ابا تراب حين جاء الى بيته فلم يجده فقال لفاطمه اين
ابن عمك قالت كان بيني وبينه شيء فغاضبني فخرج ولم يقل عندي فقال لانسان
انظر اين هو فقال يا رسول الله هو في المسجد فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم
وهو مضطجع قد سقط رداؤه عن شقه فاصابه تراب فجعل رسول الله صلى الله عليه
وسلم يمسحه عنه ويقول قم ابا تراب رواه مسلم عن سهل قال سهل وسماه ان لعلي رضي الله
عنه

عنه اسم احب اليه من ابي تراب وان كان ليفرح اذا دعي بها وامه علي رضي الله عنهما
فاطمة بنت اسد بن هاشم بن عبد مناف وهي اول هاشمية ولدت هاشميا والاسلام
وقد اسلمت وهاجرت روى ابو عمر انها لما توفيت اسلمها رسول الله صلى الله عليه وسلم فيصفه
وامضطجع معها في قبرها فسيل عن ذلك فقال لم يكن بعد ابي طالب ابر بي منها فالبسته
قميصي لتكتسي من حلل الجنة واضطجع معها ليهون عليها وهي التي سمت عليا رضي
الله عنه حيدرة قال ابن قتيبة ولد علي وابو طالب غايب فسمته امه حيدرة فلما قدم
ابوه كره هذا الاسم وسماه عليا وحيدرة من اسماء الاسد ولذا قال علي رضي الله عنه يوم
خيبر لما بارز مرحبا انا الذي سمتني امي حيدرة كليث غابات كريه المنظرة اوفيهم بالصاع
كيل السندرة والسندرة شيء يعمل منها القسي واخوة علي رضي الله عنه الذكور ثلاثة
طالب ولم يسلم وعقيل وجعفر وعلى اصغرهم وهو اشرفهم ثم جعفر ثم عقيل ولا اشرف
لطالب لعدم اسلامه وكل واحد منهم اكبر من الاخر بعشر سنين فطالب اكبر من عقيل
بعشر سنين وكذلك عقيل اكبر من جعفر بذلك وجعفر اكبر من علي بذلك ذكره البرماوي
وله من الاخوات ام هانئ وجمانة وعلي كرم الله وجهه احد العشرة المبشرين بالجنة واخو
رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمواخاة وصهره على سيدة نساء العالمين فاطمة الزهرا
واحد السابقين الى الاسلام واحد العلماء الربانيين والشجعان المشهورين والزهاد المذكورين
والخطباء المعروفين واحد الخلفاء الراشدين وهو اول خليفة من بني هاشم وابو السبطين
اسلم قديما قال جماعة منهم ابن عباس وانس وزيد بن ارقم وسلمان الفارسي انه اول من
اسلم ونقل بعضهم الاجماع عليه وعن علي كرم الله وجهه قال بعث رسول الله صلى الله
عليه وسلم يوم الاثنين واسلمت يوم الثلاثاء وكان عمره ثمان سنين او تسعا او عشرا ودون
الثمان ويشهد لهذا ما انشده سيدنا علي رضي الله عنه لما بلغه فخر من معاوية رضي الله عنه
فقال سيدنا علي لغلامه اكتب اليه املى رضي الله عنه شعر محمد النبي اخي وصهري وحمزة سيد الشهدا
عمه وجعفر الذي يمسي ويضحي يطير مع الملايكة ابن امه وبنت محمد سكني وعرسي منوط لحمها
بدمي ولحمي وسبطا احمد ابنائي منها فايكم له سهم كسهمي سيفتكم الى الاسلام طرا غلاما

شبكة الألوكة
www.alukah.net

ما بلغت اوان حلمي قال الحافظ البيهقي ان هذا الشعر يجب على كل متوان في علي حفظه
ليعلم مفاخره في الاسلام انتهى ولم يعبد الاوثان قط وشهد مع رسول الله صلى الله عليه
وسلم سائر المشاهد سوى تبوك فان النبي صلى الله عليه وسلم استخلفه على المدينة وله
الاثار المشهودة والوقعات المعدودة وقد روى له عن رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسمائة
حديث وستة وثمانون حديثا روى عنه بنوه الثلاثة الحسن والحسين ومحمد بن الحنفية وابن
مسعود وابن عمر وابن عباس وابنا الزبير وجماعة من اعيان الصحابة والتابعين وفضائله
اكثر من ان تذكر واشهر من ان تحصر قال الامام احمد بن حنبل رضي الله عنه ما ورد لاحد
من الصحابة بسند صحيح ما ورد لعلي كرم الله وجهه اخرجه الحاكم وقد روى البخاري ومسلم
عن سعد بن ابي وقاص ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خلف عليا بن ابي طالب في غزوة تبوك
فقال يا رسول الله تخلفني في النساء والصبيان فقال له الا ترضى ان تكون مني بمنزلة هارون
من موسى غير انه لا نبي بعدي وقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يحل الامر منا ولا
يقضي كل الا انت فقط وماثره كثيرة ومناقبه شهيرة رضي الله عنه بويع له بالخلافة
الغد من قتل عثمان بالمدينة فكانت خلافته اربع سنين ثم قتله عبد الرحمن بن ملجم
وسبعة اشهر واياما وقيل وتسعة اشهر وستة ايام او ثلاثة ايام او اربعة ثم قتله عبد
الرحمن بن ملجم لعنه الله بسيف مسموم في جبهته فاوصله دماغه ليلة الجمعة فتوفي ليلة
الاحد التاسع عشر من شهر رمضان وعمره ثلاث وستون سنة وجملة اولاده على اكرم الله وجهه
كما قال البرماوي اربعون الاولاد الذكور منهم الحسن والحسين ومحمد وعمر الاكبر والعباس
الاكبر وهو الاعقبوا وعثمان درج سقطا ومحمد والعباس وعمر الاصغر وجعفر الاكبر وعبد
الله وعثمان الاكبر وجعفر الاصغر وعثمان الاصغر وعبيد الله الاصغر وعبد الله ابو علي
وابو بكر عتيق وعبد الرحمن وحمزة ويحيى وعون وزينب الكبرى وام كلثوم وزينب الصغير
وامامة الله رضي الله عنهن رملة وام سلمة وام الحسن وام الكرام نفيسة وميمونة وخديجة وامامة
على خلاف في ذلك والله تعالى اعلم قول كميل اخذ علي رضي الله عنه بيدي يفيد شدة قربه منه
واعتنائه به وهكذا ينبغي للشيخ اذا اراد ان يلقي على تلميذه امرا مهما يدنيه منه وينبهه على شرف

ما لعله

ما لعله على قلبه ليكون على بصيرة ليعلم قيمة الحلق اليه وقوله ناحية الجبانة اي جهتها والجبانة معروفة المؤنث قال في القاموس الجبانة بتشديد الباء الموحدة
المقبرة والصحراء والبئر الكبير او الارض المستوية في ارتفاع فيحتمل انه توجه به الى المقبرة
ويحتمل ارادة الصحراء وبويده قوله فلما اصحا برز الى الضحى قال في القاموس وتحرى ابو زيد اصحا
اي الضحى انتهى فيكون الناحية التي اخرجه اليها انما هي الضحى ويحتمل ارادته الجبانة التي
هي المقبرة وانما اخرجه من الحمراء الى الضحى اجعل علي رضي الله عنه يتفكر في شدة
ما في قلبه من البلابل والزفرات فان التنفس يريح بعض الغم ويريح من الهم وقد ذكر الامام
الحافظ بن الجوزي ان عليا رضي الله عنه لما توفيت سيدة النساء فاطمة اشتد لنفسه روحي
على زفراتها مغبوضة هي اينتها خرجت مع الزفرات ابكى على طول الحياة وانما ابكى مخافة ان
تطول حياتي فكان من عداده رضي الله عنه كثير البلبال وحفظ ما يشتي بالبال حتى يجد ما لعله
يستريح له بيت بعض مليجد وهذا داب الكمل ولي من قصيدة تقوى الهمة على بلد خالي من
الاغيار مع صوب الغمام وخل صادق في الود حتى ابث له احاديث الغرام وما نعل الهوى
فيمن تحاه وما قاسى الحب من الالام قوله ثم قال يا كميل يدل على ان علي رضي الله عنه اراد ايثار كميل
بهذا الخبر وانه اختصه به من بين اصحابه فهي منقبة لكميل وانه اهل للحفظ والتلقي وانما
نادا مع كونه اخذ بيده لشدة اعتنائه به كانه يقول له تنبه واحضر قلبك وخ ما لعله
الغير اليك ولا تكن غافلا حاضرا بالجسم والقلب غائبا في اودية الامانى فهذا اسر الندا
مع قربه منه فانه اراد حضور القلب ايضا وقوله رضي الله عنه القلوب اوعية
فخيرها اوعاها للخير قال في القاموس القلب الفؤاد او اخص منه او العقل او محض
كل شيء وهذا منه رضي الله عنه ليكون كميل متصفا بوعاية القلب كانه قال يا كميل كل
واعيا لما اقول لك فان القلوب اوعية فخيرها اوعاها للخير دون الشر والقشر واعلم ان
القلوب ثلاثة صحيح سليم ومريض سقيم وميت رميم فالقلب الصحيح السليم هو الذي لا يخرج
بهذه القسمة الا من اتى الله به والسليم هو السالم وجاء على هذا المثال لانه للصفات
كالطويل والقصير فالقلب السليم الذي صارت السلامة صفة ثابتة له كالعلم والقدير

وايضا فهو ضد المريض والسقيم والعليل وقد اختلفت عبارات الناس فى معنى القلب السليم والاصل
الجامع لذلك انه الذى قد سلم من كل شهوة تخالف امر الله ونهيه ومن كل شبهة تعارض خبره
فسلم من عبودية ما سواه وسلم من تحكيم غير رسوله وسلم من محبة غير الله ومحابه ومن خوفه
ورجائه والتوكل عليه والانابة اليه والذل والايثار مرضاته فى كل حال والتباعد من سخطه بكل
طريق هذا هو حقيقة العبودية التى لا تصلح الا لله سبحانه فاذا سلم القلب من ان يكون لغير
الله فيه شرك يوجبه تام مخلص لله وعبوديته ارادة وتحبا وتوكلا وانابة واخباتا وخشية
ورجاء واخلاصا فهو قلب سليم فان احب احب فى الله وابغض ابغض فى الله وان اعطى
اعطى لله وان منع منع لله ولا بد من سلامته من الانقياد والتحكيم لكل ما جاء به رسول الله صلى
الله عليه وسلم فيعقد قلبه عقدا محكما على الايتمام والاقتداء به وحده دون كل احد فى الاقوال
والافعال والاعتقادات والارادات فهذا قال جل شأنه لا تقدموا بين يدى الله ورسوله اى
لا تقولوا حتى يقول ولا تفعلوا حتى يفعل بامر فقال بعض السلف ما من فعلة وان صغرت تراها
عظمت الا يشتهيها دبوا ان لم يكن اى ما فعلت وكيف فعلت فكان اول سوال عن عمله
الشئ وباعثه هل هو حظ عاجل من حظوظ العامل وغرض من اغراض الدنيا فى محبة المدح
من الناس او خوف ذمهم او استجلاب محبوب عاجل او دفع مكروه عاجل ام الباعث على الفعل
القيام بحق العبودية وطلب التقرب الى الرب البر الى وابتغاء الوسيلة الى حضرته العلية
ومحل هذا السوال انه هل كان على ان تفعل هذا الفعل ام لا كان ما فعلته لحظك وهواك
والثانى سوال عن متابعة رسول الملك المتعال فى تلك الاقوال والافعال اعلى هل كان ذلك العمل
مما شرعه الله على لسان رسوله ام لا فان عمل لما شرعه ولم يرض له فالاول سوال عن الاخلاص والثانى
عن المتابعة فهذه حقيقة سلامة القلب الذى ضمنت له النجاة والسعادة الذى لا يربح ما القلب
المريض السقيم وهو القلب الثانى فله حياة وبه علة فله مادتان تمده بهذه مرة وبهذه اخرى
وهو لما غلب عليه منهما ففيه من محبة الايمان بالله والاخلاص له والتوكل عليه ما هو مادة حياته
وفيه من محبة الشهوات وايثارها والحرص على تحصيلها والحسد والكبر والعجب وحب العلو
فى الارض بالرياسة ما هو مادة هلاكه وعطبه وهو ممتحن من داعيين داع يدعوه الى الله

ورسوله

والدار الاخرة وداع يدعوه للعاجلة وهو انما يجيب اقربهما منه مجابا وادناهما اليه سببا
واما القلب الميت الرميم وهو القلب الثالث فهو ضد السليم فهو لا حياة به فانه لم يعبد الله
بعبده ولا يمتثل لامره ونهيه ولا يحبه ويرضاه بل هو واقف مع شهواته وارادته وان كان
فيها سخط ربه وغضبه فهو متعبد لغير الله حبا وخوفا ورضا وسخطا وتعظيما وذلا
ان احب احب لهواه وان ابغض ابغض لهواه وكذلك منع وعطاء فى الشهوة غاية والهوى
مولاه والجهل سايسه والغفلة مركبه الى منتهاه فغضبه ورضاه ومنعه وعطاؤه سبيل
مناه من دنياه فهو مع الدنيا كما قيل فى ليلى عدو لمن عادتى وسلم لاهلها ومبغض تسليما
احب وقربا فى محبة صاحب هذا القلب مذموم ومجالسته ومعاشرته سم هلاك فهو اهل على
كرم الله وجهه القلوب اوعية فخيرها اوعاها والاذان والعواد لانه وعاء الخير
والشر وقد روى الامام احمد باسناد حسن من حديث ابن عمر رضى الله عنهما ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال القلوب اوعية وبعضها اوعى من بعض فاذا سالتم
الله ايها الناس فاسلوه وانتم موقنون بالاجابة فان الله لا يستجيب لعبد
دعاه عن ظهر قلب غافل فمعنى النبى صلى الله عليه وسلم القلوب اوعية وفى بعض الاثار
لله فى الارض آنية وهى القلوب فخيرها ارقها واصلبها واصفاها فهى اوانى مملوة
من الخير والشر كما قال بعض السلف قلوب الابرار تغلى بالبر وقلوب الفجار تغلى بالفجور
وكل اناء بالذى فيه ينضح وقال تعالى انزل من السماء ماء فسالت اودية بقدرها شبه
العلم بالماء النازل من السماء والقلوب فى سعتها وضيقها بالاودية فقلب كبير يسع علما
كثيرا كوادى كبير وسيع يسع ماء كثيرا وقلب صغير ضيق يسع علما قليلا كوادى ضيق صغير
يسع ماء قليلا وبهذا قال صلى الله عليه وسلم لاشعث الاغبر الكرم فى قلب المؤمن
وفى نواتى يعنى نخل العنب الكرم لكثرة منافعه وخيره والكرم كثرة الخير والبر والنفع
وقوله رضى الله عنه فخيرها اوعاها يراد به اسرعها وعيا واكثرها وعيا واشدها
وعيا واصفاها وعيا فيكون حسن الوعى الذى هو ايعاء قال ليث فى قلبه هو سرعته
وكثرته ونباته والوعاء هو من مادة الوعى فانه آلة ما يوعى فيه كالغطاء والفراش والبساط

شبكة الألوكة
www.alukah.net

ونحوها ويوصف بذلك القلب والاذن كقوله تعالى وتعيها اذن واعية قال قتادة
اللهم اجعلنا ممن سمعت وعقلت عن الله ما سمعت وقال الفراء تحفظها كل اذن فتكون عظة
لمن يأتي بعدها فالوعي توصف به الاذن كما يوصف به القلب يقال قلب واع واذن واعية
والفرق بين الاذن والقلب من الارتباط فالعلم يدخل من الاذن الى القلب فهي بابه والرسول
الموصل اليه العلم كما ان اللسان رسول المودى عنه فمن عرف ارتباط الجوارح بالقلب
علم ان الاذن احقها بان توصف بالوعي وانها اذا وعت وعى القلب وفي حديث جابر
في المثل الذي ضربته الملايكة للنبي صلى الله عليه وسلم ولامته وقول الملك له اسمع سمعت
اذنك ووعى قلبك فلما كان القلب وعاء والاذن مدخل ذلك الوعاء وبابه كان حصول
العلم موقوفا على حسن الاستماع وعقل القلب والعقل هو ضبط ما وصل الى القلب
وامساكه حتى لا يستفلت ومنه عقل البعير والدابة والعقال لما يعقل به الانسان
سمي عقلا لانه يعقله عن اتباع الغي والهلاك ولهذا سمي الحجر الانه يمنع صاحبه
كما يمنع الحجر ما حواه فعقل الشيء اخص من علمه ومعرفته لانه صاحبه يعقل
ما علمه فلا يدعه يذهب كما يعقل الدابة التي يخاف شرودها وللادراك مراتب بعضها
اقوى من بعض فاولها التصور ثم الفهم ثم المعرفة ثم العلم ثم العقل ومراد نا بالعقل
هنا المصدر لا القوة الغريزية التي ركبها الله تعالى في الانسان فمن القلوب
ما هو واع للخير ضابط له وليس هو كالقلب القاسي الذي لا يقبله فهذا
قلب جرى والكالمايع الاجرى الذي يقبل ولكن لا يحفظ ولا يضبط فهم الاول
كالرسم في الحجر وفهم الثاني كالرسم على الماء كل خير القلوب ما كان ذلينا صليا يقبل
بلينه ما ينطبع فيه ويحفظ صورته بصلابته فهذا تفهمه كالرسم في شمع وشبهه
وقوله رضي الله عنه احفظ على ما اقول لك فيه زيادة الاعتناء والاهتمام والحث والتنبيه
على تمام الاصغاء والتعقل والتفهم والاستعداد لما لعله يلقيه اليه والحفظ الحرسي
لقال حفظوا علمه حرسه والقرآن استظهره والمال رعاه فهو احفظ وحافظ والحفيظ
لهما كالذي وفي الاسماء الحسنى الذي لا يعزب عنه شيء في السموات والا في الارض تعالى
شانه وقد مر ما قيل في مصدريته او موصولية ويكون المعنى احفظ عني الذي

اقوله

اقوله ويكون العالم بحذوها اقوله رضي الله عنه الناس ثلاثة هذا القسم
في غاية الجودة ونهاية السداد لان الانسان لا يخلو اما ان يحوز الاقسام التي ذكرها
فيه كمال العقل وفراهة العالم فانه اما ان يكون عالما او متعلما او لا معلما ولا متعلما
وطالبا لمن يعلمه او لا طالب له فان العبد اما ان يكون قد حصل له من العلم وتحصل
اولا فان الاول العالم الرباني والثاني اما ان يكون نفسه متحركة في طلب ذلك الكمال
ساعية في ادراكه اولا فالاول هو المتعلم على سبيل النجاة والاخر هو الهمج
الرعاع فالاول هو الواصل والثاني هو الطالب والثالث هو المحروم والعالم المتصف
بالعلم والعلم صفة يصير المتصف بها متميزا عما حقه ان يكون مطابقا للواقع والعالم الرباني
هو الذي لا زيادة على فضله الفاضل ولا منزلة فوق منزلته لمجتهد او كامل فالا
ابن عباس رضي الله عنهما هو الرباني هو المعلم اخذه من التربية اعني تربية الناس
بالعلم كما يربي الطفل ابوه قال سعيد بن جبير هو الفقيه العليم الخبير
قال سيبويه زادوا الالف والنون في الرباني اذا الاردفا للتخصيص بعلم الرباني تعالى كما قالوا
شعراني ولحياني لعظيم الشعر واللحية ومعنى كلام سيبويه ان هذا العالم الناسب
الى علم الرب تعالى الذي بعث به رسوله وخصص به نسب اليه دون من علم ما
وقال ابو نعيم الزاهد سألت ثعلبا عن هذا الحرف وهو الرباني فقال سألت عنه الزيادي
فقال اذا كان الرجل عالما عاملا معلما قيل له هذا الرباني فان زاد حصله منها لم
يقل له رباني قال الواحدي فالرباني على قول سيبويه منسوب الى الرب على معنى التخصيص
بعلم الشريعة وصفات الرب تعالى وتعالى وقال المبرد الرباني الذي يربي العلم ويربي
الناس به اي يعلمهم ويصلحهم وعلى قوله فالرباني من ربي يربى وهو اي تربية فهو
منسوب الى التربية يزيد على العالم والحكيم والفقيه بالقيام عليه وتعاهده اياه كما يزيد صاحب
المال ماله ويربي الناس به كما يربي الاطفال اولياؤهم وفي القاموس الرباني
المتألة العارف بالله عز وجل الخبير وفي مطالع الانوار على صحيح الاثار لابن
قرقول وتهذيب مشارق الانوار للقاضي عياض ما نصه والربانيون العلماء القيامهم

هو

بالكتب والعلم وقيل نسبوا الى علم الرب تعالى وقيل الى العلم بالرب وقيل لانهم اصحاب
العلم والرباعيون زيدت النون للمبالغة قال فى مفتاح دار السعادة ومعنى الربانى
فى اللغة الرفيع الدرجة فى العلم العالى المنزلة فيه وعلى ذلك حملوا قوله تعالى لولا
ينهاهم الربانيون والاحبار وقوله كونوا ربانيين اى حكماء علماء وقال ابو زيد يقال
فقهاء علماء من هذا قوله تعالى وكاين من نبى قتل معه ربيون كثير قال ربيون
هذا الجمع باتفاق المفسرين قيل انه من الربة بكسر الراء وهى الجماعة قال الجوهرى
الربى والربيون الالوف وهم الالوف من الناس وقيل الاتباع والقسم الثانى متعلم على
سبيل النجاة قاصدا تعلم النجاة وهو الخلص فى تعلم المتعلم ما ينفعه العامل
بما علم فانما يعلم المتعلم على سبيل نجاة الا بهذه الامور الثلاثة ان يعلم علما ينفعه
اولا فان علمه لم يكن على سبيل نجاة وان تعلم ولم يعمل به لم تحصل له النجاة وان
تعلم ما ينفع به لا للنجاة فكذلك لعدم اخلاص النية ولهذا وصفه رضى
الله عنه بكونه على السبيل اى على الطريق التى تنجيه وليس حرف على وما عمل
فيه متعلقا بمتعلم الا على وجه التضمين اى مفتش متطلع على سبيل نجاة وليملكه
تعلم مفتش على سبيل النجاة فهذا فى الدرجة الثانية وليس قصده بطلبه للعلم الجارى
به السفه والجارى به العلما وبصرفا ووجوه الناس اليه فان هذا من اهل النار كما جاء فى
الاحاديث والاثار فقد قال صلى الله عليه وسلم من تعلم علما مما يبتغى به وجه الله
لا يتعلمه الا ليصيب به عرضا من الدنيا لم يجد عرف الجنة رواه ابو نعيم ورواه ابو داود
وابن ماجة وابن حبان فى صحيحه والحاكم وقال صحيح على شرط البخارى ومسلم من
حديث ابى هريرة رضى الله عنه مرفوعا بلفظ من تعلم علما مما يبتغى به وجه الله عز
وجل لا يتعلمه الا ليصيب به عرضا من الدنيا لم يجد عرف الجنة يوم القيمة يعنى ريحها
وفى صحيح مسلم وغيره من حديث ابى هريرة مرفوعا ورجل تعلم العلم وعلمه وقرا القران
فاتى به فعرفه نعمه فعرفها قال فما عملت فيها قال تعلمت العلم وعلمته وقرات فيك
القران قال كذبت ولكنك تعلمت ليقال عالم وقرات ليقال هو قارى فقد قيل ثم امر به

فسحب

فسحب على وجهه حتى القى فى النار وروى عن كعب بن مالك رضى الله عنه قال سمعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول من طلب العلم ليجارى به العلما او ليمارى به السفها او يصرف
وجوه الناس اليه ادخله الله النار رواه الترمذى واللفظ له وابن ابى الدنيا فى كتاب
الصمت والحاكم شاهدا والبيهقى وقال الترمذى غريب وعن جابر رضى الله عنه قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تعلموا العلم لتباهوا به العلما ولا تماروا به
السفها ولا تخيروا به المجالس فمن فعل ذلك فالنار النار رواه ابن ماجة وابن حبان
فى صحيحه والبيهقى كلهم من رواية يحيى بن ايوب الغافقى عن ابن جريج عن ابى الزبير
عنه ويحيى هذا وثقه احتج به الشيخان وغيرهما قال الحافظ المنذرى يحيى الغافقى
عالم مصر صالح الحديث قال ابو حاتم لا يحتج به وقال الامام احمد سى الحفظ وقال
النسائى ليس بالقوى وقال الدارقطنى فى بعض حديثه اضطراب وقال ابن
معين صالح الحديث وقال ابن عدى هو عندى صدوق واحتج به البخارى ومسلم وابن
حبان وغيرهم والله اعلم ورواه ابن ماجة ايضا بنحوه من حديث حذيفة
وعن على كرم الله وجهه انه ذكر فتنا تكون فى اخر الزمان فقال له عمر رضى الله عنه
متى ذلك يا على قال اذا تفقه لغير الدين وتعلم العلم لغير العمل والتمست
الدنيا بعمل الاخرة رواه عبد الرزاق موقوفا وثبت عن المصطفى صلى الله عليه
وسلم اشد الناس عذابا يوم القيمة عالم لم ينفعه الله بعلمه فهو لا يسلم منهم فهو
على سبيل نجاة بل على سبيل الهلكة نعوذ بالله من الخذلان والقسم الثالث
المعرض فلا عالم ولا متعلم بل هو مجرد رعاع والهمج من الناس حمقاؤهم وجهلتهم
واصله من الهمج جمع همجة وهو ذباب صغير كالبعوض يسقط على وجه الغنم
والدواب واعينها فشبه همج الناس به وفى قوت القلوب الهمج الفراش الذى
يتهافت فى النار بجهله واحدته همجة وقد روى عن على انه قال سبحان من
ادمج قوايم الذرة والهمجة يعنى واحدة الهمج اى البعوض وفى القاموس
الهمج محركة ذباب صغير كالبعوض يسقط على وجه الغنم والبعير والدواب

شبكة الألوكة
www.alukah.net

المهزولة واحدته بها والحمق والنعاج الهرمة والهمج ايضا مصدر قال الراجز
قد هلكت جارتنا من الهمج وانجع نابل عقودا او نبج والبيدج محركة ولد الضان
كما يعقوب من المعز قاله في القاموس فالهمج في الرجز مصدر ومعناه سوء التدبير
في امر المعيشة قال في القاموس والهمج ايضا سوء التدبير في المعاش والهمج هامج مثل
ليل لايل والرعاع من الناس الحمق الذي لا يعتد بهم قال صاحب القوت والرعاع
الجهلة الطياش الذي لا عقل له يستغره الطمع ويستخفه الغضب ويزدهيه
اللعب ويستطيله الكبر وفي القاموس الرعاع كسحاب من لا فواد له ولا عقل
وفي مطالع الانوار لابن قرقول ورعاع الناس وغوغاؤهم سواء اي سقاطهم
واحد هم وغوغ وغوغاء وقوله رضي الله عنه اتباع كل ناعق اي من صاح بهم دعاهم
تبعوه سواء الى هدى او ضلال انما هم لا علم لهم بالذي يدعون اليه احق هو ام باطل
فهم مجيبون لدعوته وهو لا من اضر الخلق على الاديان فانهم الاكثرون عددا الاقلون
فكونهم عند الله قدرا وهم حطب كل فتنة بهم توقد ويشب ضرامها فانما يقتنص بها
اولوا الدين ويتولاها الهمج الرعاع وسمى داعيهم ناعقا تشبيها لهم بالانعام
التي ينعق بها الراعي فتذهب معه اين يذهب قال تعالى ومثل الذين كفروا كمثل الذي
ينعق بما لا يسمع الا دعاء ونداء صم بكم عمي فهم لا يعقلون ومنه حديث آخر من بحشر
راعيان من مزينة يريدان المدينة ينعقان بغنمهما الحديث اما يقال نعق
الراعي بالغنم ينعق نعيقا فهو ناعق اذا دعا لها لتعود اليه قاله في النهاية وهذا
الذي وصفهم به امير المؤمنين رضي الله عنه هو من عدم علمهم وظلمة قلوبهم خلس
لهم نور ولا بصيرة يفرقون بها بين الحق والباطل بل الكل عندهم سواء وقوله رضي عنه
يميلون مع كل ريح وفي لفظ مع كل صايح شبه عقولهم الضعيفة بالغصن الضعيف
وشبه الاهوية والآراء بالرياح والغصن يميل مع الريح حيثما مالت وعقول هؤلا
تميل مع كل هوى وكل داع ولو كانت عقولا كاملة كانت كالشجرة الكبيرة التي لا تتلاعب
بها الرياح وهذا بخلاف المثل الذي ضربه النبي صلى الله عليه وسلم للمؤمن بالخامة

من

من الزرع تفيوء الرياح مرة وتقيمها اخرى والمنافق كالشجرة الارزة التي لا تستطعم حتى تحصد
والارز شجر الصنوبر او ذكره كما في القاموس فان هذا المثل ضرب للمؤمنين وما يلقونه من
عواصف البلاء والاوجاع والاوجال وغيرها فالمؤمن بين عافية وبلاء ومحنة ومحنة وسقم
وصحة وامن وخوف وغير ذلك فيقع مرة ويقوم اخرى ويميل تارة ويعتدل اخرى فيتقي
بالبلاء ويحص به ويخلص من كدره والكافر كله خبث ولا يصلح الا للوقود فليس في
اصابته في الدنيا بانواع البلاء من الحكمة والرجحان ما في اصابة المؤمن فهذه حال المؤمن
في البلاء وامامع الاهواء ومعاناة الفتن والضلال والبدع فكما قيل تزول الجبال الراسيات
وقبله على العهد لا يلوى ولا يتغير وايضا فان الذي مثله سيدنا على انما هو آراؤهم وعقولهم
في سرعة اجابتهم للداعي ومسيلهم اليه لضعف عقولهم وما في كلامه النبي صلى الله عليه وسلم
فالتقبل للابتلاء فان للمؤمن كثير المصايب والآلام ولا كذلك المنافقون والكفار وذوا
والطغام وقوله لم يستضيئوا بنور العلم بين السبب الذي جعلهم بتلك
المثابة وهو الجهل والضلال والعمى والميل فانهم لم يحصل لهم من العلم نور
يفرقون به بين الحق والباطل كما قال تعالى يا ايها الذين امنوا اتقوا الله وامنوا برسوله
يؤتكم كفلين من رحمته ويجعل لكم نورا تمشون به وقال تعالى ومن كان ميتا فاحييناه
وجعلنا له نورا يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها وقوله يهدي
به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات الى النور باذنه وقوله وكذلك
جعلناه نورا نهدي به من نشاء من عبادنا فاذا عدم القلب هذا النور صار مثله
الحيوان الذي لا يدري اين يذهب فهو لحيرته وجهله بطريق مقصوده يؤم كل صوت
يسمعه وليس في قلبه من العلم ما يمنع ثمة دعاة الباطل فان الحق متى استقر في القلب
قوي به وامتنع مما يضره ويهلكه ولهذا يسمى الله الحجة العلمية سلطانا كما في الايات
القرانية كقوله واجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا فالعبد يؤتى من ظلمة بصيرته وضعف
قلبه فاذا استقر فيه العلم النافع استنارت بصيرته وقوي قلبه وهذان الاصلان هما
قطبا السعادة اعني العلم والقوة وقد وصف بهما سبحانه المعلم الاول جبريل

شبكة الألوكة
www.alukah.net

صلوات الله وسلامه عليه في قوله ان هو الا وحي يوحى علم شديد القوى وقال
في سورة التكوير انه لقول رسول كريم ذي قوة عند ذي العرش مكين فوصفه بالعلم
والقوة وهو معنى احسن من هذا وهو الاشبه بمراد علي كرم الله وجهه وهو ان هولا
ليسوا من اهل البصائر الذين استضاءوا بنور العلم ولا لجاوا الى عالم مستبصر فقلده
فالمستجيب للمستبصر اما ان يكون بصيرا واعمى مسكا
لبصير يقوده او اعمى يسير بلا قايد وقوله رضي الله عنه ولم يلجاوا الى ركن وثيق
يقال لجا اليه كمنع وفرح لاذ كالتجا والجاه اضطره والجا امره الى الله اسنده والجا فلانا
عضده واللجا حبل العقل والملاذ كالملجا قاله في القاموس وفيه لاملجا منك الا اليك
قال في النهاية تجا الى فلان والتجا اذا استندت اليه واعتضدت به والركن بالضم
قال في القاموس الجانب الاقوى وما يقوى به من ملك وجند وغيره والعز والمنعة و
الوثيق هو المحكم كما في القاموس يصفهم بقلة العلم وخافة الراى لانهم لو كانوا لهم
علم كانوا استضاءوا به ولو كان لهم راى ولم يكن لهم علم التجاوا الى ذي بصيرة يسيرون
بسيرة وينهجون نهجه فهم جهلة حمقى لاعلم ولا عقل سال الله سبحانه ان يرزقنا العلم
والعمل والتوفيق للمقام الاكمل وقوله كرم الله وجهه العلم خير من المال العلم يحرسك
وانت تحرس المال والاشكل ان العلم خير من المال فانه يحفظ صاحبه ويحميه من الوقوع
في المهالك ومواضع العطب فلا يبقى نفسه في الذنوب الموجبة لغضب الرب جل شانه
كيف وعلمه بالله واحكامه من الواجب والمندوب والى الحلال والحرام والمكروه والمباح
مع ملاحظة اطلاع الله عليه ونظره اليه واسداغه ودفع ضره ونقمه قد اشرق
في قلبه واستضاء به فلا يجترم من كان عالما بالله واسمايه واحكامه الا بقدر ما
وامر وازدجر عن الزواجر وراقب الله حق المراقبة فان فرط منه هفوة استدركها با
لتوبة والانابة وندم ودعا وترجى الاجابة فان الانسان العاقل العارف لا يلقي
نفسه في هلكة ولا يعرضها للتلاف ما دام ذا عقل وعلم فهو كمن يا كل طعاما سمما
فالعالم بالسم وضرره يحترسه علمه ويمنعه من اكله والجاهل به يقتله جهله فالعلم حارس
للعالم

للعالم وكذا الطبيب الحاذق يمنع بعلمه من كثير مما يجلب له الامراض و
الاسقام وكذا العالم يحيى وفي طريق سلوكه ومعاطبها يا خذ حذره
منها فيحترس بعلمه من الهلاك وهكذا العالم بالله وبامره وبعدوه وبكايده
يحكمه ومداخله على العبد يحترس بعلمه من وساوس الشيطان وخطراته والغافل
والريب والكفر في قلبه فهو بعلمه يمتنع من قبول ذلك فعلمه يحترسه من الشيطان
فالعلم جالبا خذه صاحب حرس العلم والايمان فيرجع غانما خايبا واعظم حارس
من هذا العدو المبين العلم والايمان فهذا السبب الذي من قبل العبد والله
سبحانه وراء احاسته وحفظه وكلاءته فمتى وكله الى نفسه طرفة عين تخطفه عدوه قال بعض
العارفين اجمع العارفون على ان التوفيق ان لا يكلك الله الى نفسك واجمعوا على ان
الخذلان ان يخلي بينك وبين نفسك وقوله رضي الله عنه العلم يزكو على الانفاق وفي رواية
على العمل والمال تنقصه النفقة يقال زكى الشي اذا زاد ونما ومنه الزكاة فانها تنمي المال
وتطهره وتنمي الفقراء هنى يجعلهم ذا نماء اى سعة ومال والانفاق البذل والتبديد
يقال نفق المال كفرح ونصر نفد وفني او قل ورجل منفاق كثير النفقة فان العالم كلما بذل
علمه للناس وانفق منه تفجرت ينابيعه وازداد كثرة وقوة فيكسبه تعليم حفظ
ما علم ويحصل له علم ما لم يكن عنده وربما تكون المنفعة في نفسه غير ملموسة وانما رائحة
من خير الاشكال فاذا تكلم بها وعلمها انتعش له واضات وانفتح منها علوم اخر وايضا
يجد فان الجزا من جنس العمل فكما علم غيره من جهالته جازاه الله بان علم من جهالته
كما في صحيح مسلم انه صلى الله عليه وسلم قال في حديث طويل فان الله قال لي انفق انفق
عليك وهذا بيتنا ولي نفقة العلم اما بلفظه واما باشارته ونحوه وذكر العلم ونحوه
طريقان احدهما تعليمه والثاني العلم به فان العلم به ايضا ينميه ويكثره ويفتح لصاحبه
ابوابه وخباياه قال الاوزاعي من عمل بما يعلم وفقه الله لما لا يعلم وبقدر ما من عمل بما يعلم اورثه
الله علم ما لم يعلم واعلم ان للعلم ستة مراتب اولها حسن السوال فانه نصف حسن الانصات والاستماع
ثانيتها حسن الفهم والفهم الحفظ خامسها التعليم سادسها وهي الثمرة العمل به ومراعاة حدوده

وظهوراء

ومرتبة العلم يكون بستة اوجه احدها ترك السؤال الثاني سؤ الانتقاد وعدم القنا
السبع الثالث سوء الفهم الرابع عدم الحفظ الخامس عدم نشره وتعليمه من خزن علما
ولم يبثه الله بسبابه جزاوفاق السادس عدم العمل به فان العمل به يوجب
تذكر العلم ومراعاته والتلذذ به فاذا اهمل العمل به نسيه قال بعض السلف كنا نستعين
على حفظ العلم بالعمل به وقال بعضهم العلم يهتف بالعمل فان اجابه والا ارتحل عنه
استشهد لذلك بقوله العمل نسيه وهذا معنى قول ابن رضي الله عنه في الرواية الثانية والعلم
يقول العمل اتركني انا العمل بنيه وبرسخه ولاجرم العمل ثمرة العلم والعلم اذا لم يكن عاملا
اضر الجاهل وقد قال صلى الله عليه وسلم مثل الذي يعلم الناس الخير وينسى
نفسه كمثل السراج يضيء للناس ويحرق نفسه رواه الطبراني في الكبير باسناد حسن وقال
صلى الله عليه وسلم ويل على صاحب الاسناعمل به رواه الطبراني في الكبير ايضا
وعن زيد رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول اللهم اني
اعوذ بك من علم لا ينفع وقلب لا يخشع ونفس لا تشبع ودعوة لا يستجاب
لها رواه مسلم والترمذي وبرئ عن عيسى بن مريم عليه السلام انه قال ما ذا يغني عني
الاسراج يوقد في بيتي يضيء وما ذا يغني عن البيت المظلم ان يكون السراج على ظهره
وما ذا يغني عنكم ان تتعلموا بالحكمة فلا تعملون بها ويقال اشد الناس حسرة يوم القيمة
ثلاثة مملوك صالح يدخل الجنة ومولاه يدخل النار ورجل جمع المال من حل وحرم ومنع
حقوق الله منه فجمعت فيه فيدخل النار وسببه فيراق وارثه فيجد مجموعا فيذله
في عياله من اوجه الخير فيدخل الجنة فالاول جمعه ودخل به النار والثاني انفقه ودخل
به دار القرار وعاشر يعني الناسي لعلمه وهو يصير الى النار وقيل لعبد الله بن سلام
من ارباب العلم قال الذين يجهلون به قيل فما ينفي الحكمة من صدور الرجال قال الطمع وقال
ابو الدرداء رضي الله عنه كفا عالما (ومتعلما) او مستمعا ولا تكن الرابع فتهلك بعني
من لا يعلم ولا يتعلم ولا يستمع وبعضهم يزيد او محبا ولا تكن الخامس فتهلك
يعني لا عالما ولا متعلما ولا مستمعا ولا محبا للعلما ولا تكن من لم يكن من هو لاء فهلك

قوله

قوله رضي الله عنه والمال تنقصه النفقة قال في النهاية المال في الاصل عايملك من
الذهب والفضة ثم اطلق على كل ما يقتنى ويملك من الاعيان قال والاكثر ما يطلق
المال عند العرب على الابل لانها كانت اكثر اموالهم ومال الرجل وتمول اذا صار ذا
مال وقد موله غيره قال ويقال لرجل ما له اي كثير المال كانه قد جعل نفسه مالا وحقيقته
ذو مال وفي القاموس المال ما ملكته من كل شيء وجمعه اموال وهو المراد في كلام الامام
علي رضي الله عنه فان قلت كيف يلتئم كلام الامام مع كلام خير الانام محمد عليه
افضل الصلاة والسلام كما ثبت في الاحاديث الصحيحة ما نقص مال من صدقة
فاخرج مسلم والترمذي عن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال ما نقصت صدقة من مال وما زاد الله عبدا بعفو الا عزا وما تواضع احد لله
الا رفعه الله عز وجل والطبراني عن ابن عباس رضي الله عنهما يرفعه قال ما نقصت
صدقة من مال وما مد عبد يده بصدقة الا القيت في يد الله قبل ان تقع في يد السايل
ولا تفتح عبد باب مسيلة لها عنها الا فتح الله له باب فقر والجواب ان
المال اذا تصدقت منه وانفقت ذهب ذلك القدر وخلف عبرة ومنه حديث وصلوا
الذي بينكم وبين ربكم بكثرة ذكركم له وكثرة الصدقة في السر والعلانية ترزقوا
وتنصروا وتجبروا رواه ابن ماجة فاذا تصدق الانسان ذهب القدر المتصدق
به وبقي له ثوابه واخلفه الله عليه فعين المتصدق به قد ذهبت دون ثوابه
فانه باق مدخر له عند الله تعالى يربيه ويضيفه كما قال صلى الله عليه وسلم ان الله
يربي لاحدكم التمرة واللقمة كما يربي احدكم فلوه او فصيله حتى تكون مثل احد
رواه الطبراني وابن حبان في صحيحه واللفظ له فالفلو بفتح الفاء وضم اللام والتشديد
الفلو المهر كما هو في رواية ان الله يقبل الصدقة ويأخذها بيمينه فيربيها
لاحدكم كما يربي احدكم مهره والفصيل ولد الناقة الذي انفصل عن امه وقد قال علي
لجابر رضي الله عنهما يا جابر ما اكثر ما لك وانعم الله لديه كثرة خطايا الناس اليه فان قام بما
يجب الله فيها عرضها للدوام والبقاء ومن لم يقم فيها بما يجب الله عرضه بنعمته لزوالها

قوله

ولا ريب ان معنى عرضها للدوام والبقاء بالخلف الذى اخلفه الله سبحانه على
المتصدق فى نحو الصدقة وهذا احسن قوله رضى الله عنه تكميل فى غير هذا
الخبر بالتأمل ثم اهل تكل ان يروحوا فى كسب المكارم ويدلجوا فى حاجة من
هو نابم فوالذى وسع سمعه الاصوات ما من احد اودع قلبا سرورا الا خلق
الله من ذلك السرور لطفا فاذا نزلت به نائبة جرى اليها كما تجرى الجمارة
حتى يطردها عنه كما تطرد غريبة الابل فالمعروف من الصدقة وغيرها يخلف
الله على المنفق والفاعل اضعاف ما انفق ويدفع عنه بذلك من البلاء ما
لا يعلمه الا الله سبحانه وتعالى وبرى الله الصدقة عنده حتى تكون اضعاف
اضعافها يوم الصدقة على حسب ما اراد الله سبحانه وفى الصحيحين عن ابو هريرة
رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما تصدق بعدل تمرة من
كسب طيب ولا يقبل الله الا الطيب وان الله يقبلها بيمينه ثم يربيها لصاحبها
كما يربى احدكم قلوصه حتى تكون مثل الجبل وايضا قال الانسان اذا تصدق
بصدقة ادخرت له وانما اذا اكل فانفنى او لبس فابلى فانما له عودة فى الدنيا حسب
اللهم الا ان صحبته نية صالحة فان النية تصير العادات عبادات وانما تركه
وارتحل عنه الى الدار الاخرة فهذا اخرى من عوده الدنيا واخرى نقم عليه عند اكتسابه
والسؤال عنه من ابن اكتسبه وما فعل به وفى صحيح مسلم عن ابى هريرة رضى الله
عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول العبد مالى مالى وانما له من ماله
ثلاث ما اكل فافنى او لبس فابلى او اعطى فاقتنى ما سوى ذلك فهو ذاهب وتاركه
للناس وفى صحيح البخارى عن ابن مسعود رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم ايكم مال وارثه احب اليه من ماله قالوا يا رسول الله ما منا
احد الا ماله احب اليه قال فان ماله ما قدم ومال وارثه ما اخر والى صلى ان
العبد المتصدق بها قد ذهبت منه بيده وانتقلت له الى الدار الاخرة عند
من يربيها له واخلف الله عليه مثلها واضعافها كرما منه جل شانه ولا كذلك العلم فان

نعل المعروف

والحاصل

عينيه باقية عند العلم واجره ونوابه من موله عند الله بلى والمتعلم يعلم غيره يعلم
جزاء ذلك لمن تواضع لوجه الى ما لا نهاية له ظاهرا لعلم لما لقبس منه النار ولو اقتبس
منها العالم لم يذهب منها شئ بل العلم ينمو ويزيد بالاقتباس منه فهو لما لعين
التى كلما اخذ منها قوى ينبوعها وجاش ميعنها وفضل العلم على المال يعلم
من وجوه منها ان العلم ميراث الانبياء والمال ميراث الملوك والانبياء والعلم
يحرس صاحبه وصاحب المال يحرس ماله ولذا قاله الامام على رضى الله عنه
فان العلم يحرس حامله وذلك بقوة توكله وتمام توجهه وثبات جاشه وعلمه
ان الذى قدر لا مفر منه فما اصابه لم يكن ليخطيه وما اخطأه لم يكن ليصيبه وايضا
العالم محفوظ بعين العناية ملحوظ بالحفظ والوقاية لتحفظه ناموس الشريعة
وافاضته بالاعها وتعليم العباد لها ودعايته العالم الى الوقوف على حدودها
فكل حفظ على العباد امر دينهم حفظه الرب جل شانه جزاء وفاقا مخلاف صاحب
المال فانه كثير الخوف والوجل شديد التعب زايد النصب من خوف ضياع
ماله او ان يقطن له احد من اهل الظلم فيسلبه اياه او انفاقه مع وقوده عن
تتميمه فلا يزال كذلك حتى يختطف بها ذم اللذات وهو غافل عما امامه
من الاهوال والامور الفضيعات ومنها ان المال يفارق صاحبه بالموت
والعلم يدخل مع ربه قبره والعلم حاكم على المال والمال لا يحكم على العلم والمال
يعطيه الله للمؤمن والكافر والبر والفاجر والعلم النافع لا يحصل الا للمؤمن
والعلم يحتاج اليه الملوك فمن دونهم وصاحب المال انما يحتاج اليه الفاقه
والنفس تزكو وتشرف بجمع العلم وتحصيله فهو من كمالها وشرفها بخلاف
المال فانه لا يزكيها ولا يشرفها ولا يكملها ولا يزيدها صفة كمال بل تنقص
وتتضح وتخجل بجمعه والحرص عليه فحرصها على العلم عين كمالها وحرصها على
المال عين نقصها والمال يدعوها الى الطغيان والفخر والخيلاء والعلم يدعوها

نعل العالمين الاول

الى التواضع والقيام بالعبودية فالمال يدعوها الى صفات الملوك والمال يدعوها الى صفات العبيد ولذا قيل تواضع اذا عاملت فقيرا لبقاء تخلصا من المرض ومحبة الفضل ولا تتهيأ من عالم متواضع بخاطبه طفل فيصغى الى الصغير فانه روى الله كلم ملة سوان الله العرش اوحى الى الجبل ومنها ان العلم حاجب موصل للنفس الى سعادتها التي خلقت لها والمال حجاب حجاب عنها وبينها وان غنى العلم اجل من غنى المال فان غنى المال غنى بامر خارج عن حقيقة الانسان لو ذهب في ليلة اصبح فقيرا معدما وغنى العلم لا يخشى عليه الفقر بل هو في زيادة ابدا فهو الغنى العالي كما قيل غنيت بالله عن الناس كلهم وان الغنى العالي عن التي لا يعدل العالم امير بفضله مقدم بنيله بخلاف ذي المال فانما تقديمه لاجل ماله الذي هو خارج عن ذاته فاذا ذهب ماله زال تقدمه واجلاله فهو كما قيل ان الامير هو الذي يقضي اميرا عند عزله ان زال سلطان الولاية كان في سلطان فضله والمال يستعبد محبه وصاحبه فيجعله عبدا له كما قال النبي صلى الله عليه وسلم تعس عبد الدينار تعس عبد الدرهم الحديث واما العلم فانما يستعبد ربه وخالقه فلا يدعوه لعبودية غير الله جل شانه وحب العلم وطلبه اصل كل طاعة وحب الدنيا والمال وطلبه اصل كل سيئة وفي خبر حب الدنيا رأس كل خطيئة وهو ضعيف قال الربيع تلميذ السخاوي في عنه به تغيير الطيب من الحديث مما يدور على السنة الناس من الاحاديث رواه البيهقي في الشعب باسناد ضعيف الى الحسن البصري رفعه مرسلا وهو عند ابي نعيم في ترجمة سفيان من الحلية من قول عيسى بن مريم عليه السلام وعند ابن ابي الدنيا في مكايد الشيطان من قول مالك بن دينار وقال شيخ الاسلام بن تيمية رضي الله عنه هو من قول جندب البجلي وقد صرح جماعة بانه موضوع ويرد عليه قول ابن المديني مرسلات الحسن اذا رواها عنه الثقات صحاح وقد علمنا انه من مراسيله وقال الدارقطني في مراسيله الضعيف يعني دون الموضوع والله اعلم ومنها ان قيمة الغني ماله وقيمة العالم علمه فاذا عدم الغني ماله عدم قيمته

فبقي

فبقي بلا قيمة والعالم لا تزول قيمته بل هي في تضاعف وزيادة ابدا وروي عن علي كرم الله وجهه انه قال قيمة المرء ما يحسنه وقال ابن الوردي في لاميته قيمة الانسان ما يحسنه اكثر الانسان منه او اقل قال الفخر خان كان يحسن العلم فليس فوق شرفه شرف بشرط العمل بعلمه وان كان يغلب عليه الجهل لم يكن له قيمة ولا وزان اذ ليس دون الجهل رذيلة كما ليس فوق العلم فضيلة وفي رواية عنه عن علي كرم الله وجهه قيمة المرء همته وصدقه القرشي الصوفي فمن كانت همته الدنيا فقيمته دون جناح بعوضة ومن كانت طاعته همته الله ومحبته فان شرفه ونبله ليس فوقه شيء ومنها ان جوهر المال من جنس جوهر البدن وجوهر العلم من جنس جوهر الروح كما قال ابو سليمان بن حبيب علم كل من روح وكل وما كل من بدن كل والفرق بين الامرين كالفرق بين الروح والبدن وانه ما اطاع الله احد قط الا بالعلم وعامة من يعصيه انما هو بالمال والعالم يدعو الناس الى الله بعلمه وحاله وجامع المال يدعو جوهر الدنيا بحاله وماله وربما يكون غنى المال سببا هلاك صاحبه لانه معشوق النفوس فاذا رأيت من يستتر بعشقها فيها سعت في هلاكه كما هو الواقع بخلاف غنى العالم فانه سبب حياة صاحبه وغيره به والناس اذا رأوا من يستتر بطلبهم به وبطلبه احبوه وخدموه واكرموه ومنها ان اللذة الحاصلة من غنى المال اما لذة وهمية واما لذة بهيمية فان صاحبه ان التذ تجرد جمعه وتحصيله فتلك لذة وهمية خيالية وان التذ بانفاقه في شهواته فهي لذة بهيمية بخلاف لذة العلم فلذة عقلية وهي تشبه لذة الملائكة عليهم السلام وقد كان جلسائي الى جنبي رجل فخلسه سيما الصلاح وانا اقرر في اوايل شرح البخاري للفضلاء الذين والرجل ضرير البصر فسأل من الذي يقرر فقيل له هذا رجل من اليمن فاتاني فقال الرجل منبت العلم وكانت الواقعة في مسجد دمشق فسألني هل في الدنيا من لذة فقلت لا الافهم مسيلة من العلم لم تكن حطرت ببالك قبل على رأي جماعة وقرر له طرفا من كلام الناس في ذلك وذكرت له كلام السبكي وغيره في ذلك وان المال لا يراد لذاته وعينه فانه لا يحصل بذاته شيء من المنافع اصلا فانه لا يشبع

ولا يتروى ولا يتدبر وانما يراد لهذه الاشياء فائدة لما كان نظر فيها اريد الارادة الوسايل
ومعلوم ان الغايات اشرف من الوسايل فهذه الغايات اذا اشرف منه وهي
مع شرفها بالنسبة الى العلم ناقصة دنية وقد ذهب كثير من الغفلة الى ان هذه
اللذات لا حقيقة لها وانما هي دفع الالم فقط فان لبس الثياب مثلا انما فايدته
دفع التالم بالحر والبرد والعرى وليس فيها لذة زايدة على ذلك وكذلك الاكل انما فايدته دفع
الم الجوع ولذا لو لم يجد الم الجوع لم يستطب الاكل وكذلك الشرب مع العطش والراحة
مع التعب والجماع انما فايدته دفع دغدغة المني فهو دفع من باب دفع الضار لا درك
اللذات وبين الغلوسران في مزاولة ذلك وتحصيله الم وضرر من التخلي وكشف العورة
وتعرية البدن وافراغ الماء عليه وحركة فرع الثياب ولبسها والجلوس على النطعة و
نحو ذلك والكل محذور والم دونه فهو به والم فيحتمل الانسان احتمل الضررين
دفعا لاعظمهما وقيل للسقاط ابو ابراهيم بن يسار البصري احد ايمة المعتزلة وقد
تنا ول قدحا كريها جدا من الدا والكيف حاكل معه فقال اصحت في دار بلية فان دفع
افان بافات فالآلام مراتب العتيم وفي الحقيقة فلذات الدنيا منه المآكل والمشارب والملبس
والمنكح من هذا الجنس يعني دفع افان بافات واللذة التي يباشرها الحس ويتحرك
لها الحي وهي اقل بالنسبة المطلوبة لهم من لذة المآكل والمشارب والمنكح شهوة البطن والفرج
ليس لها ثالث البتة الا هاتان وسيلة اليهما وطريقا الى تحصيلهما وهذه اللذة مغتصة
من وجوه عديدة منها تصور زوالها وفنايها ومزجها بالافات والالام والمخاوف
وفي الغالب لا تبقى اليها بعليها كما قيل قا بيت بيت جمالها وفنها لها فاذا الملاحة
بالقباحة لا تبقى ومشاركة اراذل الناس وسقطهم كبراهم وعقلاهم بل يزيدون
عليهم فيها اعظم زيادة فان فحشها فسبتهم فيها الى الافاضل كنسبة الحيوانات
البهيمة اليهم فمشاركة الاراذل واهل الخسة والدناة في هذه اللذة وزيادتهم على
العقلاء فيها مما يوجب النفرة والاعراض عنها وبغضها عليهم وكثير من الناس حصل
له الزهد في المحبوب والمعشوق منها بهذه الطريق كما في قول بعضهم ما ترك حبها

من غير

من غير بغض ولكن كثرة الشركاء فيه اذا وقع الذباب على طعام رفعت يدي وتقيأت
وتجتنب الاسود ورود ما اذا كان الكلاب يلغ فيه ويرجع الكريم خيص بطن ولا يرضى
بمشاركة السفيه وقيل لبعض الزهاد الذي زهد في الدنيا ما حملك على ترك شهواتها وقلة وفايها
وكثرة مخافاتها وقيل لاخر في ذلك فقال ما مددت يدي الى شيء منها الا وجدتها غير ما قد مضى
اليه فاتركه لديها الالتذاذ بهذه الاشياء انما يكون بعد رشدة الحاجة اليها والتالم
بمطالبة النفس لذتها وكلما كانت شهوة الظفر بالشيء اقوى كانت اللذة الحاصلة بوجوده
اكمل فاذا لم تحصل تلك الشهوة لم تحصل اللذة فقدار اللذة الحاصلة في الحال بسبب الحالة
والالم والحسرة في الماضي فحينئذ فتقابل اللذة الحاصلة والالم المتقدم فيسا قطان فتصير اللذة
كانها لم توجد فلو كان شق بطن رجل ثم خاطه وداواه بالمرهم او غير ذلك ضربه عشرة اسواط
واعطاه عشرة دراهم فلا تخرج لذات الدنيا عما ذكر ومثل هذا لا يعد لذة ولا سعادة
بل دفع الالم ومضرات بمنزلة قضاء الحاجة من البول والغايط فان الانسان يتضرر بشغله
فاذا قضى حاجته استراح منه فاما ان يعد ذلك لذة وسعادة وبهجة فلا وايضا فان اللذات
عند الناس هي اثنان اللذتان اللتان هما لذة البطن والفرج ولا سبيل اليهما الا بما يقترن بهما
قبلهما وبعدهما مما ذكرنا اولا من مباشرة القاذورات والالام الحاصلة عقيبهما فان العاقل
لو نظر الى طعامه حال مخالطته ريقه وعجنه به لنفرت نفسه منه ولو سقطت تلك اللقمة
من فيه لنفر طبعه من اعادتها اليه ثم ان اللذة به انما تحصل في مجرى نحو الاربع اصابع
فاذا انفصل عن ذلك المجرى زال التلذذ به بما ذا استقر في معدته وخالطه الشراب وما في المعدة
من الامور الفضلية صار في غاية الخسة فاذا زاد على ذلك مقدار الحاجة ورد الادوار المختلفة
على النوعين ولولا ان بقاء موقوف على تناول الغذاء لكان تركه والحالة هذه اولى كما قال بعضهم
لو اقتضا جري تركت انملتي عن ان تلم بما كول ومشروب هذا بعض مثالب لذة البطن
مع ما تقدم واما لذة الوقاع فقدرها بين من ان تذكر افانه وادل دليل على ذلك
ان اعضاء هذه اللذة هي عورة الانسان التي لا يستحيا من رويتها وذكرها وسترها امر
فطر الله عليه العباد ولا تتم لذة الموافقة الا بالاطلاع عليها وابرازها الى الناظر

بالرطوبات المستقذرة المتولدة فيها شران تمامها انما يحصل بانفصال النطفة وهي
اللذة المقصودة من الجماع وزمانها يشبه الان الذي لا ينقسم فصعوبة تلك المزاولة
والمعالجة والمحاولة والمداومة والتعب لاجل لذة لحظة كلمح البصر فاي مقابلة ومقايسة
بين هذه اللذة والنصب في طريق تحصيلها وهذا يدل على ان هذه اللذة ليست من جنس
الخيرات والسعادات وان الكمال الذي خلق له العبد ولاكمال له بدونه بل من امور وراء ذلك
كلها قد يهيء له العبد ولا ينفطن له فهو لغفلته عنه واعراضه عن التفتيش عليه
ليظهر بمعرفته حتى يصل اليه بمنزلة الانعام السابحة كما قيل قدر شخوص المرء فضله
له فاربا بنفسك ان ترعى مع الهمل والى صلاح موقع هذه اللذة من النفس كموقع
لذة البراز من احتبس في موضع لا يمكنه القيام الى الخلاء وصار محتاجا الى ذلك الخبث
اليه فانه يجد مشقة شديدة وبلاء عظيما فاذا تمكن من الذهاب الى الخلاء وقد زال
دفع ذلك الخبث والبلاء الموذي وجد له لذة عظيمة عند دفعه وارساله والا لزم هناك
الاراحة من حمل ما يؤذيه جملة فيعلم من هذا ان هذه اللذة التي يتوهم انها لذة انما هي
دفع الام اولذة ضعيفة مقترنة بآفات تربي مضرتها على نفعها هذا مع ما يفقها
من الفتور وغيره مما ذكرنا اولا وسيأتي مما لم نذكر بعد ولكنه معلوم فلما ذكرت للرجل ما قررته
او بعضه قال لي يا سيدي هذه الدنيا ولذاتها وتهمتها وخيالاتها والذة فيها انما هي دفع
الآلام ومضارها كما ذكرتم فلماذا خلقنا وجعلت اوجلت الاكل حلوا عسرا ونفعها عاجلا
وصدقها كذبا وراحتها تعبا فهي تنادي على اهلها بذلك وتقول ولكن لا يعقل
اولو الالباب العقول ثم قام وانصرف ولم اعرفه بعد ومنها ان عقلاء الامم مطبقون
على ذم الشره في جمع المال والحرص عليه ومطبقون على تعظيم الشره على جمع
العلم وتحصيله ومدحه ومحبته وربما يعني الكمال وانهم مطبقون على تعظيم
الزاهد في المال المعرض عن جمعه الذي لا يلتفت اليه ولا يجعل قلبه عبدا له
وعلى ذم الزاهد في العلم الذي لا يلتفت اليه ولا يحرص عليه والمال انما يمدح
صاحبه بتخليه عنه واخراجه والعلم انما يمدح بتحليه به وانضافه اليه ومنها
ان طلب

ومنها ان طلب الكمال بفقد المال الجامع بين الضدين فهو طالب ما لا سبيل له اليه وما
بيان ذلك ان القدرة صفة كمال محبوبة بالذات والاستغناء عن الغير كذلك فاذا مال الانسان
بطبعه الى السخاء والجود وفعل المكرمات فهذا كمال مطلوب للعقلاء محبوب للنفوس
واذا التفت الى ان ذلك يفضي الى خروج المال من يده وذلك يوجب نقصه وافتقاره
الى الغير وزوال قدرته نفرت نفسه عن الكرم والسخاء والجود واصطناع المعروف
وظن ان كمالا في امساك المال وهذه البلية امر ثابت لعامة الخلق فيبقى قلب
المرء واقفا بين هذين الراعيين يتجاذبانه ويعتور انه عليه فهو في مقام المعاضة
بينهما فمن الناس من يترجح عنده جانب البذل والكرم فيؤثره على الجانب الاخر
ومنهم من يترجح عنده جانب الامساك وبقاء القدرة والغنى فهذان طرفان
للعقلاء ومنهم من يبلغ به الجهل والحماقة الى حيث يريد الجمع بين الوجهين
فيعد الناس بالجود والسخاء والمكارم طمعا منه في فوزه بالمدح والثناء على ذلك
وعند حضور الوقت لا يفي بما قال فيسخو ويبذل لسانه ويمسك يده وجنانه فيقع
في انواع من الفضايح والفضائح اوما علم المسكين ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اية المنافق
ثلاث اذا حدث كذب واذا وعد اخلف واذا اؤتمن خان رواه البخاري ومسلم وزاد
مسلم في رواية وان صام وصلى وزعم انه مسلم ورواه ابو يعلى عن انس قال سمعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول ثلاث من كن فيه فهو منافق وان صام وصلى وحج واعتمر
وقال انه مسلم فذكر الحديث وفي الصحيحين عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما
ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اربع من كن فيه كان منافقا خالصا ومن كانت فيه خصلة
منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها اذا اؤتمن خان واذا حدث كذب واذا
عاهد غدر واذا خاصم فجر وما احسن قول الشاعر اذا قلت في شيء نعم فاتم فان نعم
حق على الحر واجب والافضل لا تسترح وترح بها ليلا يقول الناس انك كاذب واذا نامل
احوال اهل الدنيا من الاغنياء رايتهم تحت اسر هذه البلية وهم غالبا يكون ويشكون
واما غني العلم فلا يعرض له شيء من ذلك بل كلما بذله ازداد بذلا فرح وسرورا وابتهاجا

وجورا وان فاتته لذة اهل الغنى وتمتعهم باموالهم فهو ايضا قد فاتتهم لذة اهل العلم
وتمتعهم بعلومهم وابتهاجهم بها فهو صاحب العلم من اسباب اللذة فما هو اعظم واقوى
وادوم من لذة الغنى وتعبه فى تحصيله وجمعه وضبطه اقل من تعب جامع المال بجمعه وطلبه
دون الله كما قال تعالى للمنهمكين تسلية لهم بما بايديهم من الالم والتعب فى طاعته ومرضاته
ولا تنهوا فى ابتغاء القوم ان تكونوا تالمون فانهم يالمون كما تالمون وترجون من الله ما لا
يرجون وكان الله عليما حكيما وايضا فاللذة الحاصلة من المال والغنى انما هى حال
تجدده فقط واما حال دوامه فاما ان تذهب تلك اللذة الحاصلة من المال واما
ان تنقص ويدل عليه ان الطبع يبقى طالبا لمعنى اخر يريد عليه فهو يحاول تحصيل
الزيادة دائما فهو فى فقر مستمر غير منقض ولو ملك خزائن الارض ففقره وطلبه وحرصه
باق على حاله فانه احد المنهومين اللذين لا يشبعان يعنى طالب العلم وطالب
الدنيا فهو لا يفارقه الحرص والطلب وطالب العلم وان كان منهوما فهو بخلاف طالب
الدنيا فان لذته فى حال بقايه مثلها فى حال تجدده بل ازيد وصاحبها طالما لا
يزال طالبا للمزيد حريصا عليه لانه احد المنهومين فطلبه وحرصه مستصحب للذة
الحاصلة ولذة المرجو المطلوب ولذة الطلب وايضا جمع المال مقرون بمثلاثة
انواع من الافات والمحن نوع قبله ونوع عند حصوله ونوع بعد مفارقته فاما
الاول فهو المشاق والانكاد والالام التى لا يحصل الا بها واما الثانى فمشقة
حفظه وحراسته وتعلق القلب به فلا يفجع الا مهموما ولا يمسى الا مهموما فهو
بمنزلة العاشق المفرط فى المحبة قد ظفر بمعشوقه والعيون من كل جانب ترمقه
والالسنة ترشقه فاى عيش ولذة لمن هذه حاله وقد علم ان اعداءه وحساده لا يفترون
عن سعيهم فى التفريق بينه وبين معشوقه وان لم يظفروا به ولكن مقصودهم
ان يثلموا اختصاصه بمحبوبه فان فازوا به والا استووا فى الحرمان فزال الاختصاص هو
المؤلم للنفوس ولو قدروا على مثل ذلك مع العالم لفعلوه ولكنهم لما علموا انه لا سبيل
الى سلبه علمه عمدوا الى جحده وانكاره ليثلموا من القلوب محبته وتقديمه والثناء عليه

فان

مطلب منهومان لا يشبعان

من بهر علمه وامتنع عن مكابرة الجحود والانكار رموه بالعظايم ونسبوه الى ما لا
يليق به ليثلموا من القلوب محبته وتعظيمه فزوال الاختصاص وبقى
لا شم خواص وهذا شغل السحرة بعينه فهو لا سحرة باعينهم فان عجز واعن
شئ من القبايح الظاهرة رموه بالتدليس والتلبيس والزوكرة والرياء وحب
الترفع وطلب الجاه وهذا كله انما يتاذى به اذا لا سبيل له القدر من معارفه
اهل الجهل والظلم للعلم مثل الحر والبرد لا منه فلا ينبغى لمن له عقل ان يتاذى
به اذ لا سبيل له الى دفعه بحال فليوطن نفسه عليه كما يوطنها على برد الشتا
وحر الصيف والله ينور وليكره الكافرون واما النوع الثالث من افات
الغنى ما يحصل للعبد بعد مفارقته من تعلق قلبه به وكونه قد حيل
بينه وبينه والمطالبة بحقوقه والمحاسبة عما مقبوضه ومصروفه من
اين اكتسبه وفيما اذا انفقه وغنى العلم والايمان مع سلامته من هذه الافات
فهو كفيل بلذة وفرحة وسرور ولكن لا ينال الا على جسر من التعب والصبر والمشقة
وبين العبد وبين حصوله على غب مناله ان ينكشف الغطا ويرفع الستر
ويتجلى الغبار ويحصل ما فى القصور فاذا كانت هذه غاية هذه اللذات
الحيوانية التى هى غاية جمع الاموال وطلبها فما الظن بقدر الوسيلة اعنى
نفس المال واما غنى العلم والايمان فدار اللذة متصل الفرحة متصل
المسرة والبهجة لا يزول فيحزن ولا يفارق فيولم بل اصحابه كما قال الله تعالى فيهم
لا خوف عليهم ولا هم يحزنون وايضا حتى المال يبغض الموت ولقاء الله فانه
لحبه لما له يكره مفارقته ويحب بقاءه ليتمتع به كما يشهد به الواقع واما العلم
فانه يحبب للعبد لقاء ربه ويزهده فى هذه الحياة الدنية الفانية الى غير ذلك
من الوجوه التى يتميز العلم بها عن المال وهى اكثر من ان تذكر قوله رضى الله عنه
العلم حاكم والمال محكوم عليه العلم الذى يحكم على الاشياء ويميزها فيعلم الطيب
من الخبيث والحلال من الحرام ويحكم على جميع الاشياء بحسب ما يليق بها بالادلة

القاطعة فمنها واجب وحرام ومسنون ومكروه ومباح فيتعلم حلة المناكح والمعاملة
واستقامة الملة وظهرت الحكمة وأما المال فمحكوم عليه بحسب ما يناسب بالنظر
فيحكم ان فيه زكاة وحجا وجهادا وغير ذلك ولا شك ان الحاكم اشرف من المحكوم
عليه وهذا ظاهر محبة العالم وفي رواية العلم دين يدان بها اعلم ان العلم ميراث
الانبياء والعلماء ورثتهم محبة العلم واهله محبة الله ورثة الانبياء وورثتهم وبغض
العلم واهله بغض الانبياء وورثتهم واعلم ان كلام سيدنا علي رضي الله عنه تضمن
شيئين احدهما محبة العلم واهله وهذا دل عليه منطوق كلامه والثاني ذم من لم
يحب العلم واهله بل بغضهم واستصغرهم وهذا دل عليه مفهوم كلامه رضي الله عنه
فكل شيء اختلف في وجوده وعدمه وصحته وفساده ومنفعته ومضرته ورجحانه ونقصانه
وكماله ونقصه ومدحه وذمه وقربه وبعده وجودته ورداءته وافضائه الى المطلوب و
عدم افضائه الى سائر جهات المعلومات فان العلم حاكم على ذلك كله فاذا حكم العلم
انقطع النزاع ووجب الاتباع وهو الحاكم على الممالك والسياسات والاموال والاولاد
فلذلك لا يتقيد بعلم لا يقوم وسيف بلا علم مخراق لاعب وقلم بلا علم حركة عابث والعلم
مسلط حاكم على ذلك كله ولا يحكم شيء من ذلك عليه وقد اختلف في تفضيل مداد العلماء
على دم الشهداء وعكسه وذكر لكل قول من الترجيح والادلة ما هو مبسوط في محاله
ونشير هذا النزاع دليل على تفضيل العلم وتفضيل مرتبة الحاكم وفي هذه المسئلة
هو العلم فيه واليه وعنده يقع التحاكم والتخاصم والمفضل منهما من حاكم له
بالفضل فان قيل فكيف يقبل حاكم لنفسه قيل وهو ايضا دليل تفضيله وعلو
مرتبته وشرفه فان الحاكم العالم يسوغ ان يحاكم لنفسه لاجل مظنة التهمة واما
العلم فلا تلحقه تهمة في حكمه لنفسه فانه اذا حكم حكم بما تشهد العقول النقل
بصحته وتتلقاه بالقبول وبستحيل حكمه لتهمة فانه اذا حكم بها انعزل عن
مرتبته وانحط عن درجته فهو الشاهد المزكي للعدل والحاكم الذي لا يجور ولا
يعزل فان قيل فما حكمه في هذه المسئلة التي ذكرتموها قلنا الجواب ان هذه المسئلة اكثر فيها الجدال

واتسع

واتسع لها المجال وادلى كل منهم بحجته واستعلى بمرتبته والذي يفصل النزاع ويعيد
المسئلة الى المواقع الاجماع الكلام في انواع مراتب الكمال وذكر الافضل منها والنظر
في احد هذين الامرين اولى به واقرب اليه فهذه الاصول الثلاثة تبين الصواب ويقع
بها فصل الخطاب في مراتب الكمال فاربع النبوة والصديقية والشهادة والولاية
وقد ذكرها الله سبحانه في قوله ومن يطع الله والرسول فاولئك مع الذين انعم الله عليهم
من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن اولئك رفيقا فذكر الفضل من الاعلى الى
ما لله عليها فاعلى هذه المراتب النبوة والرسالة فهي النهاية القصوى والمرتبة العليا و
يليها الصديقية فالصديقون هم اتباع الرسل ودرجتهم على الدرجات بعد
النبوة فان جرى قلم الحاكم بالصديقية وسال دم الشهيد على الصديقية مداده بها
كان افضل من دم الشهيد الذي لم يلحقه في رتبة الصديقية وان سال دم الشهيد بالصديقية
وقطر عليها كان افضل من مداد العالم الذي قصر عنها فاضلها صديقيها فان استويا
في الصديقية استويا في الرتبة والله اعلم والصديقية هي كمال الايمان بما جاء به الرسول
ومن كان اكمل تصديقا كان ثم صديقية فالصديقية شجرة اصولها العلم وفروعها التصديق
وثمرتها العمل وذكر هذه الكلمات الجامعة في مسألة العالم والشهيد وايهما افضل الامام
ابن القيم في مفتاح دار السعادة قول كرم الله وجهه محبة العالم وفي رواية محبة العلم
دين يدان بها دل كلامه رضوان الله عليه بمنطوقه على ان محبة العلم واهله دين يدان
بها ويفهم منه ان بغضهم وعدم محبتهم ليس من الدين بل بغضهم بغض لله ورسوله
وذلك لان العلم ميراث الانبياء والعلماء ورثتهم فمن لم يحب العلم واهله فقد ترك ميراث
الانبياء وورثتهم فمحبة العلم والعلم من علامات السعادة وبغض العلم واهله من علامات
الشقاوة والمراد علم الرسل الذي جاء به وورثوه للامة لا كل ما يسمى علما وايضا فمحبة
العلم تحمل على تعلمه واتباعه وذلك هو الدين وبغضه ينهى عن تعلمه واتباعه وذلك هو
الشقاء والضلال واضافة الله تعالى عليم يحب كل عليم وانما يضع علمه عند من يحب فمن
احب العلم واهله فقد احب الله وتكلم على هذا في مقامين المقام الاول في فضل العلم واهله اعلم

فضل العلم

وقفل الله تعالى ان للعلم واهله فضايل لا تخصى ومناقب لا تستقصى كيف لا وهو
الدليل الموصل الى الله والرسول العلم يستند الى الاحكام التى فرضها الله علولا العلم لعلم شى
من الواجبات والمحظورات والمندوبات والمكروهات والمباحات قال الله تعالى
شهد الله انه لا اله الا هو والملايكة واولوا العلم قايما بالقسط لا اله الا هو العزيز
الحكيم استشهد سبحانه بأولى العلم على اجل مشهود عليه وهو توحيده ووقر شهادتهم
بشهادته جل ثنائه وشهادة ملايكته وصدق ذلك تزكيتهم وتعديلهم فانه سبحانه
لا يستشهد من خلقه الا العدول وكذا جاء فى الاثر عن سيد البشر يحمل هذا
العلم من كل خلف عدوله ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين وجعل
سبحانه شهادتهم حجة على المتكبرين ونفى سبحانه ونفى التسوية بين اهل العلم
وغيرهم فى قوله هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون افمن يعلم كمن لا يعلم
كما نفى التسوية بين اهل الجنة واهل النار فى قوله لا يستوى اصحاب النار واصحاب
الجنة وقال تعالى افمن يعلم انما انزل اليك من ربك الحق كمن هو اعمى فاتتم الاعالم
او اعمى وقد وصف سبحانه اهل الجهل بانهم صم بكم عمى فى كتابه الى غير ذلك من الايات
المشعرة بعلو منزلة العلم واهله وفى الصحيحين عن معاوية رضى الله عنه قال
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من يرد الله به خيرا يفقهه فى الدين وهذا
يدل بمفهومه على ان من لم يفقهه فى الدين لم يرد به خيرا والمراد بالفقه العلم المعتبر
للعمل وفيهما ايضا من ابى موسى رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان مثل
ما بعثنى الله به من الهدى والعلم كمثل غيث اصاب ارضا فكانت منها طايفة طيبة
قبلت الماء فانبتت الكلا والعشب الكثير وكانت منها اجداب امسكت الماء فنفع الله بها
الناس فشربوا منها وسقوا وزرعوا واصاب طايفة اخرى انما هى قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت
كلا فذلك مثل من فقه فى دين الله ونفعه بما بعثنى الله وعلم ومثل من لم يرفع بذلك راسا
ولم يقبل هدى الله الذى ارسلت به فشبه صلى الله عليه وسلم العلم والهدى الذى جاء به بالغيث
لحصول الحيوة بكل واحد منهما والمنافع والاغذية والادوية وساير مصالح العباد فانها

بالعلم

بالعلم والمطر وشبه صلى الله عليه وسلم القلوب بالاراضى التى يقع عليها
المطر لانها المحل الذى يمسك الماء فينبت ساير انواع النبات النافعة كما ان
القلوب تعى العلم فيتمكن فيها ويزكو وتظهر بركته وثمرته فتفهم الناس الخ فانقسام
بحسب قبولهم واستعدادهم لحفظه وفهم معناه واستنباط احكامه و
استخراج حكمه وفوايده احدها اهل الحفظ والفهم الذين حفظوه وعقلوه
وفهموا معانيه واستنبطوا وجوه الاحكام والحكم والفوايد منه فهم بمنزلة الارض
التى قبلت الماء فانبتت الكلا والعشب بالماء فهذا مثل الحفاظ الفقهاء
اهل الرواية والدراية الثانى اهل الحفظ الذين رزقوا حفظه ونقله وضبطه ولم يرزقوا
تفقها فى معانيه ولا استنباطا لوجوه الحكم والفوايد منه فهم بمنزلة من يقرا
القران ويحفظه ويراعى حروفه واعرابه ولم يرزق فيه فهما خاصا عن الله تعالى
كما قال على رضى الله عنه الا فهما يوتيه الله عبدا فى كتابه والثانى منفعة وتوتى فى الفهم
عن الله ورسوله اعظم منفعة وتوتى رب شخص يفهم من النص حكما او حكمين ويفهم
الاخر ماية او مايتين فهم بمنزلة الارض التى امسكت الماء للناس فانتفعوا به هذا
يشرب منه وهذا يسقى وهذا يزرع فهولا القسمان هم السعداء والاولون ارفع درجة
واعلا قدرا وذلك فضل الله يوتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم الثالث من
لا نصيب لهم منه لا فهما ولا حفظا ولا رواية ولا دراية فهم بمنزلة الارض التى
هى قيعان لا تنبت ولا تمسك الماء وهولاء هم الاشقياء فالاولان اشتركا فى العلم
والتعليم كل بحسب ما قبله فهذا بعلم الالفاظ ويحفظها وهذا يزيد بحفظ
المعانى والاحكام والثالث لا علم ولا تعليم فهم الذين لم يرفعوا بهدى رسول
الله صلى الله عليه وسلم راسا ولم يقبلوه وهم شر من الانعام وفى هذا الحديث
فى هذا الحديث على شرف العلم وعلو مرتبته وشرف من ليس من اهله لا تعلما ولا تعليما
وذكر اقسام بنى ادم بالنسبة فيه الى شقيهم وسعيدهم وتقسيم سعيدهم الى مقرب
وصاحب يمين وفيه دلالة على ان حاجة العباد الى العلم كحاجتهم الى المطر بل اعظم

اهل الحفظ

شبكة الألوكة
www.alukah.net

قال الامام احمد رضي الله عنه الناس محتاجون الى العلم اكثر من احتياجهم الى الطعام والشراب
لان الطعام والشراب يحتاج اليه في اليوم مرة او مرتين والعلم يحتاج اليه بعدد
الانفاس وفي الصحيحين عن سهل بن سعد رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال لعلي رضي الله عنه لان يهدى بك الله رجلا واحدا خير لك من حمر النعم وهذا يدل
على فضل العلم والتعليم وشرف منزلة اهله وانما خص حمر النعم لانها خيارها واشرفها
عند اهلها فاخبر انه يحصل بمن يهتدي به كل يوم طوائف من الناس وفي صحيح مسلم عن
ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من دعا الى هدى كان له من الاجر
مثل اجور من تبعه لا ينقص ذلك من اجورهم شيا ومن دعا الى ضلالة كان عليه من الاثم مثل
اثام من تبعه لا ينقص ذلك من اثامهم شيا فاخبر صلى الله عليه وسلم ان المتسبب الى الهدى
بدعوته له من الاجر مثل اجور من اهتدوا به وان المتسبب بدعوته الى الضلالة عليه من
الوزر مثل اوزار من ضلوا به فنزل كل منهما بمنزلة الفاعل التام وهذه قاعدة الشريعة
كما في قوله تعالى ليحملوا اوزارهم كاملة يوم القيامة ومن اوزار الذين يضلونهم بغير علم
الا ساء ما يزرون وبذا نعلم ان من دعى الامة الى غير سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو
عدو لها حقا لانه قطع وصول اجر من اهتدى بسنته اليه وهذا من اعظم ما ذا تعوذ
بالله منه الخذلان واخرج الشيخان عن ابن مسعود رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم لا حسد الا في اثنتين رجل اتاه الله مالا فسلطه على هلكته في الحق
ورجل اتاه الله الحكمة فهو يقضي بها ويعلمها فاخبر صلى الله عليه وسلم انه لا ينبغي لا
حد ان يحسد احدا يعني حسد غبطة وتمني مثل حاله من غير ان يتمنى زوال النعمة
الله عنه الا في واحد من هاتين الخصلتين وهي الاحسان الى الناس بعلمه وعمله
وما عدا هذين فلا ينبغي غبطة ولا تتهيأ مثل حاله لقلة منفعة الناس به وجد واه طلعم
ان حسد الغبطة وهو تمني حاله نعمة كنعمة فلان من غير زوال نعمة الله عنه ليس مذموم
وانما المذموم تمني زوال نعمة فلان عنه وانتهى اليه فذا اقبيح واقبح منه ان تزول عن
فلان وتكون تذهب الى غيره واقبح منهما ان يتمنى زوال نعمته عنه من غير مجيئها الى نفسه

او الى غيره

فيكون مقصوده زوال نعمة الله عن عبده والحسود عدو لنعم الله بحكم
قضاء الله القدري واخرج الترمذي وقال حسن غريب عن ابي امامة رضي الله عنه
قال ذكر لرسول الله صلى الله عليه وسلم رجلان احدهما عابد والاخر عالم فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم فضل العالم على العابد كفضلي على ادناكم ثم قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم ان الله وملائكته واهل السموات والارض حتى النملة في جحرها وحتى
الحوت ليصلون على معلم الناس الخير قال الفضل بن عياض فحق على عالم عامل معلم بدعا كبيرا
في ملكوت السموات قال في مفتاح دار السعادة وهذا مروي عن الضحاك رضي الله عنه
قال ابن عباس رضي الله عنهما عالما هذه الامة رجلان فرجل اعطاه الله علما فبذله
للناس ولم ياخذ عليه صفرا ولم يشتر به ثمنا اوليكل يصلي عليهم طير السماء وحيتان البحر
ودواب الارض والكرام الكاتبون ورجل اتاه الله علما فضن به على عباده واخذ به صفرا
واشترى به ثمنا فذلك ياتي يوم القيمة ملجم بلجام من نار وذكره ابن عبد البر مرفوعا قال
ابن القيم وفي رفعه نظر واخرج ابو داود والترمذي عن ابي الدرداء رضي الله عنه قال سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من سلك طريقا يبتغي فيه علما سلك الله به طريقا الى الجنة
وان الملائكة لتضع اجنحتها رضى لطالب العلم وان العالم ليستغفر له من في السموات ومن في
الارض حتى الحيتان في الماء وفضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب ان
العلماء ورثة الانبياء ان الانبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما انما ورثوا العلم فمن اخذ اخذ
بحظ وافر ورواه بمعناه الوليد بن مسلم وزاد في اخره وموت العالم مصيبة لا تجبر وثلمة
لا تسد ونجم طمس وموت قبيلة ايسر من موت عالم قال ابن القيم وهذا حديث حسن
والطريق التي يسلكها الى الجنة جزاء على سلوكه في الدنيا طريق العلم الموصلة الى رضى ربه ووضع
الملائكة اجنحتها له تواضعا وتوقيرا واكراما لما تحمله من ميراث الانبياء ويطلبه من
ارث النبوة وهذا يدل على المحبة والتعظيم في محبة الملائكة له وتعظيمه تضع اجنحتها له لانه
طالب لما فيه حياة العالم ونجاته ففيه شبه من الملائكة وبين الفريقين تناسب فان الملائكة
اصح خلق الله وافهمهم لبني آدم ومن فهمهم انهم يستغفرون لمسيهم ويثنون على محسنهم ويغيرون منهم

على اعدائهم من الشياطين قال بعض التابعين وجدنا الملائكة انصح خلق الله لعباده
ووجدنا الشياطين اغش الخلق للعباد وفي الايمان من دعا الملائكة واستغفارهم للمؤمنين
ما هو معلوم فاذا طلب العبد العلم فقد سعى في نصح العباد فحينئذ الملائكة لذلك حتى تضع
اجنحتها لرضى ومحبة وذكر انعطيما وذكر ابو حاتم الرازي عن ابن ابو ويس قال سمعت مالك
ابن انس رضي الله عنه يقول معنى قول رسول الله صلى الله عليه وسلم تضع اجنحتها يعني
تبسطها بالدعا لطالب العلم بدلا من الايدي وقال احمد بن مروان المالكي في كتاب المجالسة
له حدثنا زكريا بن عبد الرحمن المصري قال سمعت احمد بن شعيب يقول كنا عند
بعض المحدثين بالبصرة فحدثنا بحديث النبي صلى الله عليه وسلم ان الملائكة تضع
اجنحتها لطالب العلم وفي المجلس معنا رجل من المعتزلة فجعل يستهزي بالحديث
فقال والله لاقطرن غدا نعلي فاطاها اجنحة الملائكة ففعل ومشى في النعلين فجعل
رجلا يعرجا ووقعت في رجليه الاكلة وقال الطبراني سمعت ابا يحيى زكريا بن يحيى
الساجي قال كنا نمشي في بعض ازقة البصرة الى باب بعض المحدثين فاسرعنا المشي وكان
معنا رجل ماجن مستهتر في دينه فقال ارفعوا ارجلكم عن اجنحة الملائكة لاتكسروها
فلم يزل مستهزيا فما زال من موضعه حتى جفت رجلاه وسقطت وفي السنن والمسانيد من حديث صفوان
ابن عسال قال قلت يا رسول الله اني جئت اطلب العلم فقال مرحبا بطالب العلم ان طالب
العلم لتحف به الملائكة وتظله باجنحتها فيركب بعضها بعضا حتى يبلغ السما الدنيا
من حبهم لما يطلب قال ابو عبد الله الحاكم اسناده صحيح وقال ابن عبد البر حسن صحيح
ثابت محفوظ من نوع ومثله لايقال بالراي ففي هذا الحديث ان الملائكة تحفه وفي الاول تضع
له فالوضع تواضع وتوقير وتبجيل والحق حفظ وحماية وصيانة وقوله صلى الله عليه
وسلم وان العالم ليستغفر له من في السموات ومن في الارض حتى الحيتان في البحر فانه لما كان العالم
سببا في حصول العلم الذي به نجاة نفوس العالم من انواع المهلكات وكانت نجاة العباد على يديه
جوزي من جنس عمله وجعل من في السموات والارض ساعيا في نجاته من المهلكات باستغفارهم
له وقد قيل ان من في السموات ومن في الارض المستغفرين للعالم عام في الحيوانات ناطقها وبهيمها

ويؤيده

ويؤيده قوله حتى الحيتان وحتى النملة في جحرها ودلك لان العالم يعلم الخلق ما لهم
هذه الحيوان وبعرفهم ما يحل وكيفية تناولها واستخدامها وكيفية ذبحها
والعالم اشفق الناس على الحيوان واقومهم ببيان ما خلق له وبالجملة فالرجوع
والاحسان التي خلق بها ولها الحيوان كما يعرف فيها اهل العلم وتفضيله صلى الله
عليه وسلم العالم على العابد كالقمر على الكواكب تشبيه مطابق فان القمر يضيء الافاق
بامتداد نوره في اقطار العالم كما ان العالم بمنذ علمه كذلك واما الكوكب فنوره
لايها ورنفسه او ماقرب منه كحال العابد الذي يضيء نور عبادته عليه دون غيره
او ماقرب منه ومن هذا الاثر المروي اذا كان يوم القيمة يقول الله للعابد ادخل الجنة
فانما كانت منفعتك لنفسك ويقال للعالم اشفع تشفع فانما كانت منفعتك للناس
وروى ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس رضي الله عنهما اذا كان يوم القيمة يوتى
بالعابد والفقيه فيقال للعابد ادخل الجنة ويقال للفقيه اشفع تشفع وفي ما ذكره
صلى الله عليه وسلم من التشبيه لطيفة اخرى وهو ان الجهل كالليل في ظلمته وحندسه
والعلما والعبا د بمنزلة القمر والكواكب الطالعة في تلك الظلمة فان قيل لم وقع التشبيه
العالم بالقمر دون الشمس مع انها اعظم نورا فالجواب ان نور القمر لما كان مستفادا
من غيره كان تشبيه العالم الذي نوره مستفاد من شمس الرسالة بالقمر اولى من
تشبيهه بالشمس فالشمس تشبيه بها الرسالة والرسل والانبيا صلوات الله وسلامه
عليهم والقمر يشبه به العلما والكواكب تشبه بها العبا د وايضا الشمس لايختلف حالها
ولا يلحقها محاق ولا تتشفاوت في الابصار ونور القمر فانه يقل نوره ويكثر ويمتلي
وينقص كما ان العلما في العلم كذلك فعالم كالبدر وعالم دونه وهلم جرا فان قيل لم شبه
العلما بالنجوم معلوم كما في حديث اصحابي كالنجوم ولذا نعين النجوم في الرويا بالعلما
فكيف وقع تشبيههم هنا بالقمر فالجواب اما تشبيههم بالنجوم فلان النجوم يهتدى بها
في الظلمات البر والبحر وكذلك العلما والنجوم زينة السما وكذلك العلما زينة الارض وهي
رجوم للشياطين حائلة بينهم وبين استراق السمع ليلا يلبسوا بما يسترقونه من الوحي

شبكة الألوكة www.alukah.net

الوارد الى الرسل من الله على ايدى الملائكة وكذلك العلماء ورثة الانبياء
لنبيا طابق الامر والحق الذى جاء به بعضهم الى بعض خرق القول او دل الفعل على ذلك
رجوع لهذا الصنف ولولاهم لطمست معالم الدين بتلبيس المضلين وكيد الملحدين
وتعالى اقامهم سبحانه وحفظه لدينه ورحموا الاعراب واعدار رسوله صلى الله عليه وسلم
فهذا وجه تشبيههم بالنجوم واما تشبيههم بالقمر فانما كان فى مقام تفضيلهم على العمل
العبادة المجردة وموازنة ما بينهما من الفضل فالمعنى انهم يفضلون اقتداء الذين لسوا
بعلم كما يفضل القمر سائر الكواكب فتشبيههم بالقمر للتفضيل والاضاءة وبالنجوم للحفظ
والزينة والله اعلم وقوله صلى الله عليه وسلم ان العلماء ورثة الانبياء هذه منقبة
عظيمة وماثرة جسيمة فان الانبياء خير خلق الله فورثتهم خير الخلق بعدهم وذلك
كل مورث ينتقل ميراثه الى ورثته اذ هم الذين يقومون مقامه من بعده كذلك لم يكن بعد
الرسل من يقوم مقامهم فى تبليغ ما ارسلوا به الا العلماء فانهم الناس غير انهم
وفى هذا تلميح على ان العلماء اقرب الناس الى الرسل لان الميراث انما يكون للاقرب فالاقرب
وفيه ارشاد وامر بطاعة العلماء واحترامهم واعزازهم واجلالهم وان محبتهم من الدين
وبغضهم منافٍ للدين كما هو ثابت لامورثهم وكذلك معاداتهم ومحاربتهم معاداة ومحاربة
لله كما هو فى مورثهم ولذا قال على رضى الله عنه محب العلماء دين يدان به وقد قال صلى الله
عليه وسلم فيما يروى عن ربه عز وجل من عاد الى وليا فقد بارزنى بالمحاربة ووثق الانبياء سلام
اولياء الله عز وجل وفيه تنبيه للعلماء على سلوك هدى الانبياء وطريقتهم فى التبليغ من الصبر
والاحتمال ومقابلة اساءة الناس اليهم بالاحسان والرفق بهم واستجلابهم الى الله بأحسن
اللطف وبذل ما يمكن من النصيحة لهم فبذلك يحصل لهم نصيبهم من هذا الميراث العظيم قدره الجليل
خطره وفيه ايضا حث العلماء على تربية الامة كما يربى الوالد ولده بالتدريج والترقى من صغار
كتب العلم الى كبارها شيئا فشيئا بحسب وسعهم وطاقتهم كما يفعل الوالد بولده الطفل
فى ايصال الغذاء اليه فاباحة الارباح الشرعية للانبياء والرسل لا طفال بالنسبة الى
اباهم بل دون ذلك بكثير ولهذا كل روح لم يرها الرسول لم تفلح ولم تفصح لعالى كما

قيل

محبة العلماء

قيل فوق كل ذى لب يريه الرسول ويسقيه من لبان هدى قدر من قدسه
فذاك لقيط ماله نسبة الولا ولا ينتمى طورا بنا جنسه وقوله
ان الانبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما انما ورثوا العلم هذا من كمال الانبياء وعظم
نصحهم للامم وتمام نعمة الله عليهم وعلى امتهم ان أزاح جميع العلل وحسم جميع المواد
التى توهم بعض النفوس ان الانبياء من جنس الملوك الذين يريدون الدنيا وملكها فبين لهم
سبحانه اعم الحماية ولذا قال صلى الله عليه وسلم نحن معاشر الانبياء لا نورث ما تركناه فهو
صدقة وذلك لحسم مادة ان لعله يتطرق لبعض النفوس وسد ذريعة ما يخطر لبعض القلوب
فان الغالب على الناس ارادة الدنيا لولده من بعده فقطع هذا الوهم الذى عساه ان يخالط
كثيرا من النفوس التى تقول فلعله لم يطلب الدنيا ويحصلها الا لولده فلم يورثوا الانبياء
صلوات الله وسلامه عليهم دينارا ولا درهما وانما ورثوا العلم واما قوله تعالى وورث سليمان
داود فهو ميراث العلم والنبوة لا غير وهذا باتفاق اهل العلم من المفسرين و
غيرهم وهذا لان داود كان له اولاد كثير سوى سليمان فلو كان الموروث هو المال لم يكن
سليمان مختصا به ويدل عليه اول الاية ولقد آتينا داود وسليمان علما وقالا الحمد لله الذى فضلنا
على كثير من عباده المؤمنين وكذا قول زكريا عليه السلام وانى خفت الموالى من ورائى وكانت
امرأتى عاقرا فهب لى من لدنك وليا يرثنى ويرث من آل يعقوب واجعله رب رضيا فهو ميراث
علم النبوة ودعوة الى الله وحاش زكريا ان ينافس فى الدنيا ويطلب الولد لها فهذا لا يظن
بنبى كريم انما خاف عصبته ان يرثوه ماله فيبدل ربه ولدا يعلمهم ميراثه
ويكون احق به منهم فقد نزه الله رسله وانبياءه عن مثل هذا وقد روى
عن ابى هريرة رضى الله عنه انه مر بالسوق فوجد الناس فى تجاراتهم وبيعاتهم
فقال انتم ها هنا فيما انتم فيه وميراث رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم فى مسجده
فقاموا سراعا الى المسجد فلم يجدوا فيه الا القرآن والذكر ومجالس العلم فقالوا
اين ما قلت يا ابا هريرة فقال هذا ميراث محمد صلى الله عليه وسلم يقتسم بين
ورثته وليس بموارثكم ودنياكم او كما قال واخرج الترمذى عن ابن

شبكة الألوكة
www.alukah.net

عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقيه اشد على الشيطان
من الف عابد قال الترمذي غريب ورواه ابو احمد بن عدي عن محمد بن سعيد بن مهران
ثنا شبيبة ابو الربيع السمان عن ابي الزناد عن الاعرج عن ابي هريرة قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم لكل شيء دعامة ودعامة الدين الفقيه في الدين والفقيه اشد على الشيطان من
الف عابد قال الامام ابن القيم وقد روي من كلا مراين هريرة قال وهو اشبه رواه
همام بن يحيى ثنا يزيد بن عياض ثنا صفوان بن سليم عن سليمان بن يسار وعطاء بن
هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما عبد الله بشيء افضل من فقه في الدين
قال قال ابو هريرة لان افقه ساعة احب الي من ان احيي ليلة اصليها حتى اصبح والفقيه
اشد على الشيطان من الف عابد ولكل شيء دعامة ودعامة الدين الفقه وقد روي
عن عمر بن الخطاب يرفعه ان الفقيه اشد على الشيطان من الف ورع والف مجتهد
والف متعبد وفي اسناده من لا يحتج به وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما انه
قال ان الشياطين قالوا لابليس يا سيدنا مالنا نراك تفرح بموت العالم ما لا تفرح
بموت العابد والعالم تصيب منه والعابد لا تصيب منه قال انطلقوا فانطلقوا الى عابد
فاتوه في عبادته فقالوا انا نريد ان نسألك فلم يلتفت فقال ابليس هل يقدر ربك ان يجعل الدنيا
في جوف بيضة فقال لا ادري فقالوا انا نروه كفر في ساعة ثم جاء الى عالم في حلقته بضاحك
اصحابه ويجدثهم فقالوا انا نريد ان نسألك فقال سل فقال هل يقدر ربك ان يجعل الدنيا في جوف
بيضة قال نعم قالوا كيف قال لا تقول لي فيكون قال اتروه ذلك لا بعد ونفسه ولا لعالم يشد
على عالم كثير قال في مفتاح دار السعادة وقد روي بهذا المعنى حكاية على وجه اخر وهو
انهم سألوا العابد هل يقدر ربك ان يخلق مثل نفسه فقال لا ادري فقال اتروه لم
تنفعه عبادته مع جهله وسألوا العالم عن ذلك فقال هذه المسئلة محال لانه لو كان
مثله لم يكن مخلوقا وهو مثل نفسه مستحيل فاذا كان مخلوقا لم يكن مثله بل كان
عبدا من عبيده وخلقا من خلقه فقال اتروه هذا يهدم في ساعة ما اشيده في
سنين او كما قال وروى عن عبد الله بن عمر وفضل العالم على العابد سبعين درجة بين

اقصة ابليس مع العابد

طلب

كل

كل درجتين حضر الفرس سبعين عاما وذلك لان الشيطان يضع البدعة فيصرف الكلام
وينهى عنها والعابد مقبل على عبادته لا يتوجه لها ولا يعرفها وهذا معناه صحيح
فان العالم يفسد على الشيطان ما يسعى فيه ويهدم ما يبنيه فكل ما اراد احياء بدعة او اماتة
سنة حال العالم بينه وبين ذلك فلا شيء اشد على الشيطان من لقاء العالم بين العباد
ولا شيء احب اليه من زوال الدين ممن احيا البدع واماتة السنن واما العابد فغاية امره
ان تسلم له نفسه وانى له ذلك والله الموفق واخرج الترمذي وحسنه عن ابن هريرة رضي
الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الدنيا ملعونة وملعون ما فيها الا
ذكر الله وما والاه وعالم ومتعلم واخرج الترمذي ايضا وقال حسن غريب عن الربيع
ابن انس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من خرج في طلب العلم فهو
في سبيل الله حتى يرجع قال الامام العلامة ابن القيم وانما جعل طلب العلم من
سبيل الله لان به قوام الاسلام كما ان قوامه بالجهاد فقوام الدين بالعلم والجهاد
ولهذا كان الجهاد نوعين جهاد باليد والسنان وجهاد بالحجة والبيان وهذا
جهاد الخاصة اتباع الرسل وورثة الانبياء وهو افضل الجهاد بن لعظم منفعته وشدة
مؤنته وكثرة اعدائه ولهذا قال تعالى وجاهدهم به جهادا كبيرا اي بالقرآن ولذا قال
معاذ رضي الله عنه عليكم بطلب العلم فان تعلمه خشية ومدارسته عبادة ومذاكرته
تسبيح والبحث عنه جهاد ولهذا يقرن سبحانه بين الكتاب المنزل والحديد الناصر
كقوله تعالى لقد ارسلنا رسلنا بالبينات وانزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم
الناس بالقسط وانزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس وليعلم الله
من ينصره ورسله بالغيب ان الله قوي عزيز ولذا قيل فما هو الا الوحي او صارم
يميل ظباه احد عاكل ما يميل فهذا شفا الدا من كل عاقل وهذا دوا الدا من كل جاهل
ولهذا فسر الصحابة رضي الله عنهم قوله تعالى اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم
بالامراء والعلماء فانهم المجاهدون في سبيل الله تعالى هؤلاء بايديهم وهؤلاء بالسنتهم وبطلب
العلم وتعليمه من اعظم الجهاد في سبيل الله قال كعب الاحبار طالب العلم كالغازي في الرمح

في سبيل الله عز وجل وجاء من بعض الصحابة بنادا يحيا الموت طالب العلم وهو على هذه الحال
فان شهيد وهو وقال سفيان بن عيينه من طلب العلم فقد تاب الله عز وجل وقال ابو الدرداء
من رأى الغدو والرواح الى العلم ليس بجهاد فقد نقص في عقله ورايه واخرج الترمذي
عن ابن هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سلك طريقا يلتمس فيه
علما سهل الله له طريقا الى الجنة قال الترمذي حديث حسن واخرجه الحاكم وقال صحيح على شرط
البخاري ومسلم وقد روى من حديث عائشة رضي الله عنها مرفوعا ولفظه اوحى الله الى انه من سلك
مسلكا يطلب العلم سهلت له طريقا الى الجنة واخرج الترمذي ايضا عن ابن مسعود رضي الله عنه
عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال نضر الله امرا سمع مقالتي فوعاها وحفظها وبلغها فرب
حامل فقه الى من هو افقه منه ثلاث لا يغل عليهن قلب مسلم اخلاص العمل لله ومناصحة
ائمة المسلمين ولزوم جماعتهم فان دعوتهم تحيط من ورايهم وروى هذا الاصل عن النبي
صلى الله عليه وسلم ابن مسعود ومعاذ وابو الدرداء وجبير بن مطعم وانس بن مالك وزيد بن ثابت
قال ابن مهدي بن بشير قال الترمذي حديث ابن مسعود حسن صحيح وحديث زيد بن ثابت حسن
واخرج الحاكم في صحيحه حديث جبير والنعمان وقال في حديث جبير على شرط البخاري ومسلم
ولو لم يكن في فضل العلم الا هذا الحديث وحده لكفى به شرفا فان النبي صلى الله عليه وسلم
دعا لمن سمع كلامه ووعاه وحفظه وبلغه وهذه هي مراتب العلم اولها سماعه فاذا سمعه
وعاه بقلبه اي عقله واستقر بقلبه كما يستقر الشئ الذي يوعى في وعايه لا يخرج منه وكذلك
عقله وهو يترلة عقل ليعبر وله كما ان الوعي والعقل قد يثمر ايضا على مجرد ادراك العلوم
المرتبة الثالثة تعاهده وحفظه حتى لا ينساه فيذهب المرتبة الرابعة تبليغه وبثه في
الامة ليحصل ثمرته ومقصوده والا فهو بمنزلة الكنز المدفون في الارض فمن قام بهذه المراتب
الاربع دخل تحت هذه الدعوة النبوية المتضمنة لجمال الظاهر والباطن فان النضرة هي
البهجة والحسن الذي يكسوه الوجه من انوار الايمان وابتهاج الباطن به وخروج القلب وسروره
والتذاذه به فتظهر هذه البهجة والسرور نضارة على الوجه ولهذا يجمع سبحانه بين
البهجة والسرور والنضرة كما في قوله تعالى فوقاهم الله شر ذلك اليوم ولقاهم نضرة وسرورا النضرة
في وجوههم

في وجوههم والسرور في قلوبهم ومعنى قوله صلى الله عليه وسلم ثلاث لا يغل عليهن قلب
مسلم الخ اي لا يحمل الغل ويبقى فيسمع هذه الثلاثة فانها تنفي الغل والغش وهو
فساد القلب وسخايمه فالمخلص لله اخلاصه يمنع الغل ان يدخل قلبه واذا قد دخله
ازاله واخرجه في الحال جملة لانصراف دواعي قلبه وارادته الى مرضاة ربه فلم يبق فيه
موضع للغل والغش كما قال تعالى كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء انه من عبادنا المخلصين
ولهذا المعلم ابليس انه لا سبيل له على اهل الاخلاص استثناهم من بني طينة الى اشر فيها
للغواية والاهلاك وكذا مناصحة ائمة المسلمين منافي للغل لان النصيحة لا تجامع
الغل لانها ضده وكذا لزوم جماعة المسلمين فانه بذلك يصير يحب لهم ما يحب لنفسه
ويكره لهم ما يكره لها ويسوءه ما يسوءهم ويسره ما يسرهم وهذا بخلاف التخلي عنهم والخلاف
عن جماعتهم والشغل بالطعن والعيب كفعل الرافضة والخوارج والمعتزلة وغيرهم
فان قلوبهم ممتلئة غلا وغشا واخرج الترمذي عن ابي هارون قال كنا نأتي ابا سعيد
رضي الله عنه فيقول لنا مرحبا بوصية رسول الله صلى الله عليه وسلم ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال ان الناس لكم تبع وان رجالا يأتونكم من اقطار الارض يتفقهون في الدين فاذا اتوكم
فاستوصوا بهم خيرا وكان ابو سعيد ~~كان اذا رانا~~ اذا رانا يقول مرحبا بوصية
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الترمذي هذا الحديث انما نعرفه من حديث ابي هارون
العبدي عن ابي سعيد وقد ضعف شعبة ابا هارون العبدي قال يحيى بن سعيد
وما زال ابن عوف يروي عن ابي هارون حتى مات واسم ابي هارون عمارة بن جوين واخرج
ايضا عن عبد الله بن سخبرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من طلب العلم كان
كفارة لما مضى قال الامام ابن القيم هذا الاصل لم اجد فيه الا هذا الحديث وليس بقوي فان
فيه ابا داود وهو نفيع الاعمى غير ثقة وقد ذكرنا حديث ان العالم يستغفر له ما في
السموات وما في الارض وقد روينا انا رعد بن ه عن جماعة من الصحابة في هذا المعنى منها
ما رواه الثوري عن ابن عباس ان ملكا موكلا بطالب العلم حتى يرده من حيث ابتداه مغفورا
له وما رواه قطر بن خليفة عن سيدنا علي رضي الله عنه ما تعلم عبد قط ولا تخفق ولا تأبس

ثوبا ليغمده وهو في طلب العلم الا غفر له ذنوبه حيث يخطو عند باب بيته ورواه ابن عدي مرفوعا
ورواه اسماعيل بن يحيى التيمي عن الثوري شيخه بن ابو يوب الجوزجاني عن مجاهد عن الشعبي
عن الاسود عن عايشة مرفوعا بلفظ من اغتدى لعلم خير افغفر له قبل ان يخطو وقد روى
عن عمر رضي الله عنه انه قال ان الرجل ليخرج من منزله وعليه من الذنوب مثل جبالها فاذا سمع
العلم خافه ورجع وتاب فانصرف الى منزله وليس عليه ذنب فلا تفارقوا مجالس العلم واخرج
الخطيب في كتابه الفقيه والمتفقه عن ابن عمر رضي الله عنه مرفوعه مجالس فقه خير من عبادة
سنين سنة قال الامام ابن القيم وفي رفعه نظر وروى الخطيب عن ابن عمر مرفوعه ملعبد
الله بشيء افضل من فقه في الدين واخرج ابو نعيم في الحلية عن سلمان رضي الله عنه مرفوعا نوم على
علم خير من صلاة على جهل وروى عن علي انه قال العالم اعظم اجرا من الصايم القايم الغازي
في سبيل الله وروى عن ابن هريرة وابي ذر رضي الله عنهما انهما قالا باب من العلم يعلمه عمل به
اولم يعمل احب الينا من مايتي ركعة تطوعا وقالا سمعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
اذا جاء الموت طالب العلم وهو على هذه الحال مات شهيدا ورواه ابن ابي داود و
شاهده مامر من حديث الترمذي عن انس مرفوعه من خرج في طلب العلم فهو في سبيل الله
حتى يرجع وقال ابو هريرة رضي الله عنه لان اعلم بابا من العلم في امر او نهي احب الي من مايتي
غزوة في سبيل الله اي بلا علم لان العمل بلا علم فساده اكثر من اصلاحه وقال الحسن لان
اتعلم بابا من العلم فاعلم به مسلما احب الي من ان تكون لي الدنيا فانفقها في سبيل الله وقال سفيان
ابن عيينة ارفع الناس درجة عند الله منزلة من كان بين الله وبين عباده وهم الرسل
والعلماء وقال عمر رضي الله عنه موت الف عابد اهون من موت عالم بصير بحلال الله وحرامه
وروى حربي في مسايله مرفوعا الى النبي صلى الله عليه وسلم قال يجمع الله تعالى العلماء يوم
القيامة ثم يقول يا معشر العلماء اني لم اضع علمي فيكم الا لعلمي بكم ولم اضع علمي فيكم لاعذبكم
اذهبوا فقد غفرت لكم قال ابن القيم وهذا وان كان غريبا فله شواهد حسان قال وقد ذكر
ابو عبد البر عن عبد الله بن داود قال اذا كان يوم القيمة دعى الله سبحانه العلماء من الحساب
فيقول ادخلوا الجنة على ما فيكم اني لم اجعل علمي فيكم الا لخير اردته بكم قال ابن سيد البر وزاد
غيره

غيره في هذا الخبر ان الله يجلس العلماء يوم القيمة في زمرة واحدة حتى يقضي بين الناس
ويدخل اهل الجنة الجنة واهل النار النار ثم يدعو العلماء فيقول يا معشر العلماء انه لم
اضع حكمتي فيكم وانا اريد بكم قد علمت انكم تخلطون من المعاصي ما يخلط غيركم
فستر تها عليكم وغفرتها لكم وانما كنت اعبد بفقيها كم وتعليمكم عبادي دخلوا الجنة
بغير حساب ثم قال لا معطي لما منع الله ولا مانع لما اعطى الله قال ابن عبد البر وروى
نحو هذا المعنى باسناد متصل مرفوع وقال ابن القيم عن بعض السلف قال بلغني انه
اذا كان يوم القيمة توضع حسنات الرجل في كفه وسيئاته في كفه فتسيل سيئاته فاذا
ابيض وظن انها النار جاءني مثل السحاب حتى يقع مع حسناته فتسيل حسناته
قال فيقال له انظر هذا من عملك فيقول لا فيقال هذا ما علمت الناس من الخير فعمل
به من بعدك فان قيل قواعد الشرع تقتضي ان يسامح الجاهل بما لا يسامح به العالم الفاضل
وعلم بقبح المعصية وبغض الله لها وعقوبته عليها اعظم من علم الجاهل ونعمة
الله بما اودعه من العلم اعظم من نعمته على الجاهل وقد دلت الشريعة وحكم الله على
ان من جنى على الانعام وخص بالفضل والاكرام ثم اساء نفسه مع اهل الشهوات التي
رتعها في مراتع الهلكات ويجري على انتهاك المحارم وانهمك في اقتراف الخطايا
والاثام انه يقابل منه الانتقام بما لا يقابل من ليس في رتبته من اهل الجهل والطغام
ومنه قوله تعالى يا نساء النبي من يأت منكن بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين
وكان ذلك على الله يسيرا وكان بهذا الامر حد الحر ضعفي حد العبد في الزنا والقذف
وشرب الخمر وفي الحديث المشهور الذي اثبته ابو نعيم وغيره عن النبي صلى الله عليه
وسلم انه قال اشد الناس عذابا يوم القيمة عالم لم ينفعه الله بعلمه ورواه الطبراني
في الصغير والبيهقي واشار المنذري الى تضعيفه فانه اورده بصيغة التمريض وهي
ردى وقد قال هو اذا كان في اسناد الحديث من قيل فيه كذاب او وضاع او متهم
او مجمع على تركه او ضعفه او ذاهب الحديث او هالك او ساقط او ليس بشيء او ضعيف
جدا او ضعيف فقط بحيث لا يتطرق اليه احتمال التحسين صدرته بلفظة روى فيكون

هذا الحديث الذى ذكره ابو نعيم وغيره اصلح احواله ان يكون ضعيفا فلا يحتج به
والله اعلم وقال بعض السلف يغفر للجاهل سبعون ذنبا قبل ان يغفر للعالم ذنب واحد وقال
بعضهم ايضا ان الله تعالى يعافى الجاهل ملايعافى العالم فالجواب هذا لاشك فيه لدى
تنبيه وكل من قواعد الشرع ايضا ان من كثرت حسناته وكان له فى الاسلام اثر ظاهر
فانه يحتمل له مالا يحتمل لغيره ويعفى عنه ملا يعفى عن غيره فان المعصية خبث واما
اذا بلغ قلتين لم يحمل الخبث بخلاف القليل ومن هذا قول النبى صلى الله عليه وسلم لعمر
لما اراد قتل حاطب بن ابى بلتعة ومايدريك لعل الله اطلع على اهل بدر فقال اعملوا
ما شئتم فقد غفرت لكم فانه صلى الله عليه وسلم انه شهد بدرا فدل على ان مقتضى عقوبته
قايم ولكن ثم مانع وهو ماله من ذلك المشهد العظيم فرفعت تلك السقطة العظيمة بمغفرة
فى جنب ماله من المأثرة وكذلك قوله صلى الله عليه وسلم لعثمان رضى الله عنه لما اتى بتلك الصدقة
العظيمة ما ضر عثمان ما عمل بعدها وقوله لطلحة لما نطحا طالة صلى الله عليه وسلم يوم
احد حين صعد على ظهره الى الصخرة اوجب طلحة وهذا موسى كليم الرحمن عليه السلام القى
الالواح التى فيها كلام الله الذى كتبه له على الارض حتى تكسرت ولطم عين ملك الموت ففقأها
وعاتب ربه ليلة الاسرى فى النبى صلى الله عليه وسلم فقال شاب بعث بعدى يدخل
الجنة من امته اكثر من يدخلها من امتى واخذ بلحيتها وهوى اليه وهو نبى الله وكل
ذلك لم ينقص من قدره شيأ عند ربه وربنا جل شانه يكرمه ويحبه لعظم الامر الذى قام به
والعدو الذى برزله والصبر الذى صبره والاذى الذى اوذيه فى الله واحتمله ابتغاء وجهه
وهذا امر معلوم عند الناس مستقر فى فطرهم ان مثل هذا الوف من الحسنات فانه يسامح بالسيئ
والسيئتين وخوهما كما قيل فى ذلك واذا الحبيب اتى بذنب واحد جاءت محاسنه
بالف شفيع وقال غيره [illegible] فعاله التى سر بن كثيرة فالله سبحانه يوازن
بجميع فانه يكفى الفعل الذى سا واحدا فانه يسر له فيعمل مع اهل الحسنات الكثيرة
يوم القيمة فيبين حسناتى العبد وسيأته فايهما غلب كما قالوا يسر له فيعمل مع اهل الحسنات الكثيرة
الذى انتوى اجابه ومراضيه وغلبهم وعلى طبعهم ايمانا من العفو والمسامحة ملا يفعله
مع غيرهم

مع غيرهم وايضا العالم اذا زل اسرع الفيئة وتدارك الفارط ومداواة الجرح كالطبيب الحاذق
البصير بالمرض واسبابه واعلاجه فانزواله على يده اسرع من زواله على يد الجاهل وروى عنه
صلى الله عليه وسلم انه قال اتقوا زلة العالم وانتظروا فيئته وفى صحيح مسلم عن ابى هريرة عن
النبى صلى الله عليه وسلم انه قال اذا مات ابن ادم انقطع عمله الا من ثلاث صدقة جارية
او علم ينتفع به او ولد صالح يدعو له وقد اوصل السيوطى من يجرى عليهم اعمالهم بعد الموت
الى عشرة وزاد شيخ مشايخنا الشيخ عبد الباقى الحنبلى عليه ثلاثة ونظم السيوطى ذلك فى ابيات
وغير بعضها شيخ مشايخنا وزاد البيتين الاخيرين فقال اذا مات ابن ادم جاء يجرى عليه
الاجر عند ثلاث عشر علوم بثها ودعا فحل وغرس النخل والصدقات تجرى وراثة مصحف
ورباط ثغر وحفر البير او اجرا نهر وتعليم القرآن كزهر شهيد والفتال الذى كذا من سن
صالحة فحقق فحتها من احاديث بشعر وقد ذكر ابو الليث السمرقندى فى تنبيه
الغافلين انه روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال النظر فى وجه الوالد
عبادة والنظر فى الكعبة عبادة والنظر فى المصحف عبادة والنظر فى وجه العالم عبادة
اقول لم اقف على هذا الحديث شئ ولم اعرف حاله نعم ذكر الربيع تلميذ الشافعى فى كتابه
التمييز حديث نظرة الى وجه العالم خير من عبادة ستين سنة صياما وقياما قال الزهرى فى شيخه
شعبة وغيره من اشهر مرفوعا بمعناه ولا يصح قال ابو الليث فلو لم يكن لحضور مجلس العلم
منفعة سوى النظر الى وجه العالم لكان ينبغى للعاقل ان يرغب فيه فكيف وقد
اقام النبى صلى الله عليه وسلم العالم مقام نفسه فقال من زار عالما فكانما زارنى ومن
صافح عالما فكانما صافحنى ومن جالس عالما فكانما جالسنى ومن جالسنى فى الدنيا اجلسه
الله معى يوم القيمة فى الجنة هكذا روى هذا الاثار والقلب غير ساكن اليها من جهة الصحة
ثم رايت السخاوى قال حديث من جالس عالما فكانما جالس نبيا لا اعرفه فى المرفوع ثم رايت
القارى ذكر الحديث من زار عالما الخ وقال فيه حض كذاب كذا فى الذيل انتهى وفضايل
العلم واهله اكثر من ان تذكر واشهر من ان تشهر وفى الاشارة ما يغنى عن العبارة
المقام الثانى فى بعض اهلها وعدم محبتهم وتوقيرهم قد علمت ما تقدم ان ذكر مناقب الدين

ومن باب الانقياد والتعبد بكيف وهم الواسطة بين الله وبين عباده وهم الغايبون بشريعته
على وفق مراد رسوله صلى الله عليه وسلم ومراده فقولوا العلماء ما عبد الله جل وعلى بمثل
كان الناس كالماشية بلا راع وهو المنهج الرفاع كما اخبر علي رضي الله عنه في الخبر وأخرج الطبراني في
الكبير عن ابي امامة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ثلاثة لا ينتقص
بهم الاصناف ذو النبيهة في الاسلام وذو العلم وامام مقسط اي عادل واخرج
فيه ايضا عن ابن ماكول الاشعري رضي الله عنه انه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول لاخاف
على امتي الا ثلاث خلال ان تكثر لهم الدنيا فيتحاسدون وان يفتح لهم الكتاب ياخذه
المومن يبتغي تاويله وما يعلم تاويله الا الله والراسخون في العلم يقولون امنا به
كل من عند ربنا وما يذكر الا اولوا الالباب وان يروا الاعلم فيضيعونه ولا يبالون
عليه وقد قال سفيان الثوري من الجهالة ان يتنزل العالم في محلة قوم ولم يذهبوا اليه ليتعلموا
منه شيا من العلم فاذا الحال عدم حضورهم عند العالم جنا فكيف بمن ظاهره العداوة
والامر على بغضه وعدم محبته واذا كان يجب المومن كقتله واليغضا تخلق الدين فكيف
ببغض العلماء الذين هم ورثة الانبيا فبغض العلما نفاق او فسوق ولله ولي التوفيق
ولو اخذنا نتكلم على فضايل العلم والعلما ومتعلقات ذلك ومثالب الجهل واهله ومتعلقاته
لخرجنا عما نحن بصدده من قصد شرح كلام الامام علي كرم الله وجهه والله اعلم
وقوله رضي الله عنه يكسب العالم الطاعة في حياته وجميل الاحدوثة بعد مماته
معنى يكسبه ذكرا اي يجعله كسبا له وورانة يقال كسبه ذكرا وطاعة واكسبه لغتان
قال في القاموس وكسبه جمعه وفلانا مالا كاكسبه اياه انتهى ومنه حديث خديجة
رضي الله عنها لرسول الله صلى الله عليه وسلم انك لتصل الرحم وتصدق الحديث وتحمل
الكل وتكسب المعدوم روي بفتح التا وضمها ومعناه تكسب المال والغنى هذا هو الصواب
وزعمت طايفة على رواية الفتح ان معناه تكسب انت المال المعدوم بمعرفتك وحذاقك
بالتجارة وهذا فهم سرو خديجة اجل قدرا من تكلمها بهذا في مثل هذا المقام العظيم
بان تقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم امثلك يا رسول الله لا يخرج بكل الله انك لتكسب الدرهم والدينار وتحسن

التجارة

التجارة وهذا الفهم وان كان ساقطا ظاهر الغلط لا يخفى قلب عارف في وضوح فحشه
وغلطه فذكر الامام هو لاجل التحذير منه وليلا يغتر به من لا معرفة له بمقاصد الاحاديث
ومعانيها قال ابن الاثير في نهايته يقال كسبت مالا وكسبت زيدا مالا اي اعطيته
على كسبه فان كانت من الاول فتريد خديجة انك تصل الى كل معدوم وتنال فلا يتعذر
لبعده عليك وان جعلته متعديا الى اثنين فتريد انك تعطي الناس التي للعدم
عندهم وتواصله اليهم قال وهذا اولى لان قوله لين لانه اشبه بما قبله من باب التفضل
والانعام اذ لا انعام في ان يكسب هو لنفسه مالا لا مال معدوم وما عنده واما الانعام ان يوليه
غيره وباب الحفظ والسعادة في الاكتساب غير باب التفضل والانعام انتهى والمقصود
ان قول علي كرم الله وجهه العلم يكسب العالم الطاعة في حياته اي يجعله مطاعا مسموع
الكلمة لان الحاجة الى العلم عامة وكل وقت لكل احد الملوك فمن دونهم كل احد محتاج الى
طاعة العالم لانه بامر بطاعة الله ورسوله فطاعته طاعة الله ورسوله فيجب على الخلق طاعته
قال تعالى يا ايها الذين امنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم فسر اولي الامر
بالعلما قال الحبر ابن عباس رضي الله عنهما هم الفقها والعلما اهل الدين الذين يعلمون
الناس دينهم اوجب الله طاعتهم وهذا قول الحسن ومجاهد والضحاك واحد الروايتين
عن الامام احمد وفسر بالامرا وهو قول ابن زيد واحدى الروايتين عن ابن عباس واحمد
قال الامام ابن القيم والاية تتناولهما جميعا فطاعة ولاة الامر واجبة اذا امروا بطاعة
الله ورسوله والا فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق وطاعة العلما كذلك فالعالم مما جا
به الرسول العالم به اطوع في اهل الارض من كل احد ويحتمل ان يكون المعنى يكسبه طاعة
الله تعالى وهو وان كان اللفظ لا يابا فهو قاصر بالنسبة لما قبله فانه الاول امدح وايضا في
طاعة الخلق لطاعته هو الخالق ففي الحياة هو طابع لله مطاع الكلمة فاذا مات اكسبه العالم جميل
الاحدوثة اي حسن الثنا ويورثه ذلك قال في القاموس الجمال الحسن في الخلق والخلق جمل ككرم فهو
جميل كامير والاحدوثة كما في القاموس ما يتحدث به فاذا مات العالم الحي الله ذكره ونشر له في العالمين
حسن الثنا فهو ميت وهو حي بين الناس كما ان الجاهل في حياته حي وهو ميت بين العالم كما قيل

وفي الجهل قبل الموت موت لاهله ولبس لهم حتى النشور نشور ولعلم في وحشة من جهلهم
واجسامهم قبل القبور قبور وقال اخر قد مات قوم وما ماتت مكارمهم وعاش قوم وهم في الناس احياء
وقال اخر وما دام ذكر المرء يفصل باقيا فذكر حي وهو في الترب هالك ومن تامل احوال ائمة الاسلام
كائمة الاحاديث والفقه رأى المجالس تتزين بذكرهم وتتحبر بنشرهم فاجسامهم تحت الثرى واخبارهم
منشورة بين الورى فهم بحسن الثنا احياء بينهم لم يفقدوا وامثلهم الاصور لهم الا اخبارهم وذكرهم
وهذا احد الحياتين كما قال المتنبي ذكر الفتى عيشه الثاني وحاجته ما فاته وفضول العيش
اشغال وقال ارسطو تخليد العلم في الكتب اعم لا يبيد وهو كل يوم جديد ولله در السيوطي
احو العلم حي خالد بعد موته واوصاله تحت التراب رميم وذو الجهل ميت وهو ماش على الثرى يظن
من الاحياء وهو عديم وابو بكر بن الانباري ما مات من لهان مذكورا وابيته قد مات قوم وهم في الناس
احياء وعاش قوم ولم تذكر مآثرهم فان ذكرهم والقوم احياء واحسن من الجميع قول سعيد بن العاص
رضي الله عنه الناس بعضهم لبعض اكفاء ابوهم ادم والام حواء ما الفضل الا لاهل العلم انهم على
الهدى لمن استهدى ادلاء وقيمة كل امرء ما كان يحسنه والجاهلون لاهل العلم اعداء فقم
بعلم تعش حيا به ابدا ه فالناس موتى واهل العلم احياء قوله رضي الله عنه وصنيعة المال تزول
بزواله قال في النهاية الصنيعة العطية والكرامة والاحسان يعني ان كل صنيعة صنعت للرجل
من اجل ماله من اكرام ومحبة واحترام وخدمة وانعام وقضاء حوائج وتقديم وتولية وتعظيم
ونحوها من انواع التوقير والاجلال والتعزير فانما هي مراعاة لماله فاذا زال ماله زال ذلك
بزواله حتى انه ربما لا يسلم عليه من كان يداب في خدمته ويسعى في مصلحته ويتقرب بذلك
اليه ولذا قيل من ودك لامر ملك عند انقضائه وقال بعض العرب وكان يلقى لحمى يقولون
مرحبا فلما راوني معسرا مان مرحبا ه ومن هذا قيل اذا اكرم الناس مالا او سلطانا
فلا يعجبنك ذلك فان زوال الكرامة بزوالهما ولكن ليعجبنك ان اكرموك لعلم او دين وهذا امر لا يتبين
في الناس حتى انهم ربما اكرموا الرجل لشبابه فاذا نزع منهم ذلك الكرامة قال مالك روى ان ابا هريرة
رضي الله عنه دعي الى وليمة فاتى فجيء فرجع فلبس غير ثياب الشباب فادخل فلما وضع الطعام ادخل كمه
فيه فجعل يتباعد في ذلك فقال ان هذه الثياب هي التي دخلت فيها فاكل حكاه ابن عبد البر الطليلي في كتابه وهذا
بخلاف

بخلاف صنيعة العلم فانها لا تزول الا بزوال دينه في زيادة ابدا ما لم ينسلب ذكر العالم علمه
وصنيعة العلم والدين اعظم من صنيعة المال لانها تكون بالقلب واللسان والجوارح
وهي صادرة عن حب واكرام لاجل ما اودعه الله تعالى اياه من علمه وفضله به على غيره
وايضا فصنيعة العلم تابعة لنفسي العالم ودانه وصنيعة المال تابعة لماله المنفصل
عنه وايضا فصنيعة المال صنيعة معاوضة وصنيعة العلم والدين صنيعة حب وتقرب وديانة
وايضا فصنيعة المال مع البر والفاجر والمؤمن والكافر واما صنيعة العلم والدين فلا تكون الا
مع اهلهما وقد يراد من كلام الامام علي رضي الله عنه معنى اخر وهو ان من اصطنعت عنده
صنيعة مالك اذا زال ذلك المال وفارقه عدمت صنيعتك عنده واما من صنعت اليه
صنيعة علم وهدى فان تلك الصنيعة لا تفارقه ابدا بل تزري في كل وقت مالك اسرتها
اليه جنيد وقوله كرم الله وجهه مات خزان المال وهم احياء والعلماء باقون
ما بقي الدهر هذا تقرير وتمثيل لما تقدم فان المال اموات وهم احيا لانهم يخزنون ما لا ينتفعون
به اذا نفع الدينار والدرهم لا يكون الا بانفاقهما ومنعهما فلا يتصور النفع بهما مع الحرص
عليهما وحبسهما والخازن يخزن ماله لوارث او حادث وربما منع منه حتى الله تعالى فيطرق
به يوم القيمة وربما جمعه من غير وجه صحيح فيعذب به مع عدم انتفاعه به وهذا من تمام
الحكاية والمثلية وهو من اشد الناس حيرة يوم القيمة كما قدمنا الاشارة الى ذكر وقد قال الامام
علي في جواهره البخل جامع لمساوئ العيوب وقال الاحنف الحريص يعيش عيش الفقر او يحاسب في الاخرة حساب الاغنياء وقال رضي الله عنه الغنى من استغنى
بالله لا بالمال والله اعلم واعلم ان المال اذا سلم فيه القلب من الطمع واليد من العدد وان كان صاحبه محمودا
وان كان معه مال عظيم بل قد يكون مع هذا ازهد من فقير طلوع وقد سيل الامام احمد رضوان
الله عليه عن الزاهد يكون زاهدا ومعه ماية دينار قال انعم على شريطة اذا زادت لم يفرح واذا نقصت
لم يحزن وقد قال الامام احمد ايضا رضي الله عنه الزهد في الدنيا قصر الامل والاياس مما في ايدي الناس
وقال الامام ابن عقيل ما قطع عن الله وحجل النفس على محارمه فهو الدنيا المذمومة وان كان املاكا وفقرا
وما اوصل الى طاعة الله فذاك ليس بالدنيا المذمومة وان كان تجارة وقال الواجب شكرها من حيث هي نعمة

الله وطريق الى الاخرة وذريعة الى طاعة الله واعلم ان المال كالسيف فكما ان استعانته على
بعد الله فسيف ممدوح وان تعدى به على اهل طاعته فمذموم والحاصل ان المال لا
يذم من حيث هو وانما يذم ان حصل لله بسببه اما لكونه جمعه من غير حله او منع حقوق
الله منه او تعدى به على عباد الله او افتخر به على اهل طاعته واحتقرهم وعظم نفسه او فعل
فعلا مذموما به واما المال من حيث هو فهو نعمة من الله تعالى كما في كلام ابن عقيل وفي
الحديث نعم المال الصالح في يد الرجل الصالح وفي الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم ان
هذا المال حلوة خضرة فمن اخذه بسخاوة النفس بورك له فيه ومن اخذه باشراف النفس
لم يبارك له فيه وكان كالذي يأكل ولا يشبع وفي الاداب الكبرى للامام ابن مفلح من طرق
ابن الشخير عن رجل من الصحابة تلقاني في الكوفة امير المؤمنين علي يوما فقال ان اعطاك هذا المال
فتنة وامساكه فتنة وبذلك قام رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى فرغ ثم نزل اسناده جيد والحاصل
ان امساك الدنيا وشحها والحرص عليها مذموم بل الحريص عليها الحاذق لها محروم وقد علمنا انه يعيش
عيش الفقر ويحاسب حساب الاغنياء وكفى بهذا حرمانا وخسرانا فهم لحبهم الدنيا كما لا موال لعدم
نفعهم بها وقلة الثناء عليهم بسببها اذ لا احد يود لهم ولا ما تركوه بخلاف اهل العلم فانهم محمودون
على الطلب والحرص والبذل فهذا من اوجه فضيلة العلم على المال فالمال اذا فقد كما مينتفى بطول امكنه
ولذا شبهت الدنيا به بخلاف العلم فانه يطيب نشره بطول مكثه واهل العلم ما قام بين العالم
بذكرهم ما بقي الدهر اي زمان حتى يرث الله الارض ومن عليها ويحيي العباد فهم وان فقدنا صورهم فقد بقي
ذكرهم هاذا كان يوم القيمة فلا تسل عما ينالونه من المآثر والكرامة فخلائق والاهم ولاء انصر اهما دامت
الليالي والايام وقد قدمنا في ذلك ما يليق بهذا المختصر وقوله رضي الله عنه اعيانهم مفقودة
وامثالهم في القلوب موجودة يعني ان اعيان العلماء اي اجسامهم وصورهم الحسية مفقودة لزوالها
من الدنيا بها زهم الذات ومفرق الجماعات وابداعها بعد النشوى في رياض الجنان فان القبر لاهل طاعة
الله روضة من رياض الجنة كما يكون لاهل معصيته حفرة من حفر النار وما اصنافهم اي صورهم العلمية
ووجودهم المثالي في القلوب لانتشار فقها واخبارهم وما ثرهم في مجالس العلم لانتشابهم فكانهم احياء لونهم
الناس وعلموهم فان محبة الناس لهم واقتداءهم بهم وانتظامهم بعلومهم موجبان لابقاء الواصف عينهم وقيله

قلوبهم

والحاصل

نعم المال الصالح

مطلب

قوله

قلوبهم فهم موجودون في معشرهم وحاضرون عند هم وان غابت عنهم اعيانهم الجسيمة كما قيل في
مثل ذلك ومن عجيب ما حضرني الهامهم وانسال عنهم من لقيت وهم معي وتطلبهم عيني وهم
في سوادها ويشتاقهم قلبي وهم بين اضلعي وقال آخر ومن عجيب ما يشكو البعد عاشق وهل
غاب عن قلب المحب حبيب خيالك في عيني وذكرك في فمي ومثواك في قلبي فاين تغيب
ولي من قصيدة اروي شكلها في اللباس وهي ندمائي اذا غاب ندماني وفي مجلس الذكر وفي المحفل
والطيور شاهدت حسنها وفي نغمة السنطير والشفع والوتر والحاصل ان العلماء العاملين
لا تزال اخبارهم تتلى ومآثرهم تجلي وحسناتهم صاعدة وثمرة علمهم اليهم عايدة والنفع بهم
متصلا بانفصال الزمان باقيا ببقاء الصور والاعيان وبدوم ذلك وسيتم على مر الدهور
والسنين حتى يرث الله الارض ومن عليها وهو خير الوارثين وقوله رضي الله عنه
هاه ان ها هنا علما واشار بيده الى صدره لو اصبت له حملة قال في النهاية ها هنا مقصورة
كلمة تنبيه للمخاطب يتنبه بها على ما يساق عليه من الكلام وقد يقسم بها فيقال لا ها الله
ما فعلت اي لا والله ابدلت الهاء من الواو ومنه حديث ابي قتادة يوم حنين قال ابو بكر لا ها الله
اذا لا يعمد الى اسد من اسد الله يقاتل عن الله ورسوله فيعطيك سلبه هكذا في الحديث لا ها
الله اذا قال في النهاية والصواب لاها الله ذا قال والصواب بحذف الهمزة ومعناه لا والله
لا يكون هذا انتهى والظاهر والله اعلم ان الها في كلام سيدنا الامام على بدل عن الواو والمعنى
واه كلمة تلهف وتحسر وقد توضع موضع الاعجاب بالشيء يقال واها له وقد ترد بمعنى التوجع
وقيل التوجع فيه اها ومنه حديث ابي الدرداء اما انكم تزعمون من زمانكم فيما غيرتم من علمكم كان يكن
خيرا فواها وان يكن شرا فاها ها فيكون معنى كلامه رضي الله عنه هاه بمعنى واه تلهفا منه رضي الله
عنه على عدم اصابة حملة ما عنده من العلوم وبدل عليه قوله لو اصبت له حملة او اعجابا بما لديه
من العلوم ونفايس منطوقها والمفهوم كما قال واها لما لديه من العلوم النفيسة والحكم الانيسة
ويؤيده الاشارة بيده الى صدره الشريف والحاصل من ذلك انه اما تلهف لعدم اكملية من
يلقى اليه دقائق العلوم او اعجاب بما في صدره من درر نفايس المنثور من الحكم والمنظوم و
الظاهر عدم ارادة التنبيه لان قوله لو اصبت له حملة من كلام فقيه ينتفيه او بعده ويقصيه

شبكة الألوكة
www.alukah.net

ويقهقه ثم رأيت الحافظ المنذري كتب على قوله صلى الله عليه وسلم في حديث البراء الطويل في القبور فيقولان اي الحالة من ذكر فيقول هاه هاه لا ادري قوله هاه هاه فقال في الضحك وفي الامعاد وقد تقال التوجع وهو اليق بمعنى الحديث انتهى قلت وفي كلام سيدنا علي رضي الله عنه كونها التوجع اليق ايضا كما لا يخفى ودل كلامه رضي الله عنه على جواز اخبار الرجل بما عنده من العلم والفضل ليتقيس منه وينتفع به ومنه قول سيدنا يوسف عليه افضل الصلاة والتسليم اجعلني على خزائن الارض اني حفيظ عليم فمن اخبر عن نفسه بمثل ذلك ليكثر به ما يجبه الله ورسوله من الخير فهو محمود بلا ضير ومن اخبر بذلك ليتكبر به عند الناس ويتعاظم لدى الجلاس فهذا يجازيه الله بالمقت والياس ويوقفه في الحرج والياس ويصيره في قلوب الطالبين ويحقره في اعين الناظرين كما انه سبحانه يكبر الاول في عيونهم وقلوبهم ويعظمه لديهم ومطلوبهم فانه سبحانه مطلع على الخفيات فمجازي كلا بقصده وحمله وانما الاعمال بالنيات فالاول اخبر عن نفسه قاصدا انتفاع العباد بما عنده والثاني اخبر عنها متعاظما عليهم بنيته وقصده في ذي الاول بالقبول والانتفاع والثاني بالمقت والاحتقار والمهانة والاستصغار جزاء وفاقا وكذلك انتهى الرجل على نفسه ليخلص بذلك من مظلمة وشر او ليستوفي به حقا له يحتاج فيه الى التعريف بحاله وليقطع عنه اطماع السفلة فيه او عند خطبته الى من لا يعرف حاله قال ابن القيم وغيره والاحسن في ذلك ان يوكل من يعرف به وبحاله فان ثنا المرء على نفسه قصير وهو في الغالب مذموم لما يقترن به من الفخر والتعاظم وقد قال العلماء الصدق المذموم هو الذي لغير حاجة فاما بحسن اخبار المرء عما عنده من العلم والفضل لحاجة اخذه عنه فيكون مقصودا مصلحة العالم وقد قال صلى الله عليه وسلم سلوني فهابوا ان يسألوه فجاء رجل فجلس عند ركبتيه فقال يا رسول الله ما الاسلام الحديث رواه البخاري ومسلم من حديث ابي هريرة فيسوغ للعالم ان يقول سلوني عما تحتاجون اليه من العلم وفي صحيح البخاري وغيره في تفسير سورة الكهف ان ابن عباس رضي الله عنهما قال سلوني واما جلوسي للعلم في حلقة ليوجد العلم عنده فهو كثير في الاحاديث عن النبي صلى الله عليه وسلم والى اصل جواز اخبار الرجل عما عنده من العلم

العلم بل قد يجب وقد يجب وربما تعتري ذلك الاحكام الخمسة فيجب اذا لم يكن ثم من يصلح لابلاغ ما يجب ولا من يخبر عنه فيتعين عليه الاخبار عن نفسه وارشاد العالم ليخرج من تبعة كتمان العلم وازالة المنكر وتعليم الجاهل ويستحب فيما لا يجب حيث احتيج اليه على سبيل الندب وبحرم افتخارا وتكبرا والظاهر كراهة ذلك مع عدم الحاجة اليه ان خاف من نفسه الوقوع فيه ويباح ان امن من ذلك فتامل والله تعالى اعلم قوله رضي الله عنه لو اصبت لحملته اي لبثثته ونشرته فلو حرف امتناع لامتناع اي الذي منعني من نشره عدم اصابتي من يصلح لحمله فانه امتنع رضي الله عنه من نشر ما عنده من العلم لعدم اصابته من يصونه ويقوم بحقوقه فاما لو يمتنع بها الى الا لامتناع الشرط وهذا معنى قول بعضهم ان لو حرف يمتنع به لامتناع غيره وقوله رضي الله عنه بل اصبت لقنا غير ماموني اضراب وابطال لسالف كلامه فانه قال فلا اصيب من يصلح لحمل العلم والاقامة بناموسه وحقوقه وتحليل حلاله وتحريم حرامه والتاديب به وان يتخذه سببا موصلا للمقصود من خشية الله وتعظيم امره ونهيه والتفهم في معاني كلامه جل شانه بل لقنا غير ماموني قال في النهاية اي فهما غير ثقة فيه ومنه في حديث المهدي ويبث عندها الى النبي صلى الله عليه وسلم واي بكر رضي الله عنه عبد الله بن ابي بكر رضي الله عنهما وهو شاب ثقف لقن اي فهم حسن التلقي لما يسمعه وفي حديث الاخدود انظروا الى غلامنا فطنا لقنا وقوله رضي الله عنه بل اصبت اذا فهم لكنه غير ماموني عليه خائن فيه ومن ثم اعقب ذلك بقوله رضي الله عنه يستعمل الله الدنيا اي يستعمل العلم الذي هو الة الدين لقضاء الدنيا واصطيادها وتقدم حديث ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه من تعلم علما مما يبتغى به وجه الله عز وجل لا يتعلمه الا ليصيب به عرضا من الدنيا لم يجد عرف الجنة يوم القيمة يعني ريحها رواه ابو داود وابن ماجة وابن حبان في صحيحه والحاكم وقال صحيح على شرط البخاري ومسلم واخرج الامام احمد وابن حبان في صحيحه والحاكم وصححه والبيهقي عن ابن كعب رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بشر هذه الامة بالسنا والدين والرفعة والتمكين في الارض فمن عمل منهم عمل الاخرة للدنيا لم يكن له في الاخرة من

شبكة الألوكة
www.alukah.net

نصيب وفي رواية عند البيهقي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بشر هذه الامة بالتيسير
والسنا بالدين والتمكين في البلاد والنصر فمن عمل منهم بعمل الاخرة للدنيا فليس له في الاخرة من نصيب
وروى الطبراني في الاوسط عن ابن هريرة رضي الله عنه مرفوعا من تزين بعمل الاخرة وهو لا يريدها
ولا يطلبها الا في البهتان والاثم وروى في الكبير عن الحارث رضي الله عنه بزيادة من
طلب الدنيا بعمل الاخرة طمس وجهه ومحق ذكره واثبت اسمه في النار واخرج الترمذي
من رواية يحيى بن عبيد سمعت ابا هريرة رضي الله عنه يقول قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم يخرج في اخر الزمان رجال يختلون الدنيا بالدين يلبسون للناس جلود الضان من
اللين السنتهم احلى من العسل وقلوبهم قلوب الذياب يقول الله عز وجل ابي تغترون
ام علي تجترون فبي حلفت لابعثن على اولئك فتنة تدع الحليم حيران ورواه الترمذي
ايضا مختصرا من حديث ابن عمر وقال حديث حسن وقال ابن المبارك رضي الله عنه ما شيء افضل
من طلب العلم لله وما شيء ابغض الى الله من طلب العلم لغير الله وسيل من الناس قال العلما
قيل فمن الملوك قال الزهاد قيل فمن السفلة قال الذي يأكل بدينه واخرج الترمذي وقال
حسن غريب عن ابن عمر مرفوعا من تعلم علما لغير الله او اراد به غير الله فليتبوا مقعده من النار
وقال ابن المبارك عن مالك بن دينار سألت الحسن ما عقوبة العالم قال موت القلب قلت وما
موت القلب قال طلب الدنيا بعمل الاخرة واما رواه ابو داود الطيالسي عن ابي مسعود رضي الله
عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا عبد الله اتدري اول الناس يعلم قلت الله ورسوله
اعلم قال فان اعلم الناس اعلمهم بالحق اذا اختلف الناس وان كان مقصرا في العمل وان كان
يزحف على استه فهو منكر قال البخاري فيه عقيل الجعدي منكر الحديث يروى عن ابي اسحاق
ويتكلم فيه ابن حبان وقال البيهقي غير معروف قال في الادب الكبرى ويمكن اجراء الخبر على ظاهره
ويكون تركه العمل زلة منه ينتظر فيئته وهذا وان لم يكن في ما نحن بصدده من طلب
الدنيا بالاخرة ولكنه ترك العمل بالعلم وترك العمل بالعلم افقر ولما حج سالم الخواص
لقي سفيان بن عيينة في السوق فاذكر له كونه في السوق فاستشار ابن عيينة خذ بعلمي وان
فقرا في عملي يشغل علمي ولا يضرك تقصيري واما قول بعض المتاخرين خذ من علومي ولا تنظر
الى

الى عملي واقصد بذكر وجه الواحد الباري ه وان مررت باشجع الرجال عرفا حتى الخمار وخلى
العود للنار فالمراد اذا كان اهلا لاخذ العلم عنه ولكنه مقصر في العمل والا فان مردود
على قائله والحاصل ان سيدنا الامام علي كرم الله وجهه ذكر اصناف حملة العلم الذين لا يصلحون
لحمله وهم اربعة احدهم من ليس عالما ومن عليه وهو الذي اوتي ذكاء وحفظا ولكن مع ذلك
لم يوت زكاة نفس وتطهير قلب فهو يتلمح العلم الذي هو آلة الدين الى الدنيا يستجلبها
به ويتوسل بالعلم اليها ويجعل البضاعة التي هي متجر الاخرة متجر الدنيا وهذا غير
امين على ما حمله من العلم ولا يجعله الله فيما اظن قط فان الامين هو الذي لا غرض
له ولا ارادة لنفسه الا اتباع الحق وموافقته بخلاف من قصد اقامة رياسته ودنياه
فانه قد خان الله وخان عباده فلذا قال رضي الله الله عنه غير مامون عليه ثم وصف
هذا الخائن بوصفين قبيحين غيرهما تقدم بقوله رضي الله عنه يستطيل بحمد الله على
كتابه وبنعمه على عباده هذا من عظم خيانته وقبح جنايته انه اذا تعلم علما استطال
بعلمه على كتاب ربه جل شانه وتعالى سلطانه ومعنى استطالته به العلم على كتاب الله
تحكيمه عليه وتقديمه واقامته دونه والحجج بالضم جمع حجة البرهان كما في القاموس
وهذه حال كثير من الناس ممن يحصل له علم وبرهان فانه يستغني به ويجعل كتاب الله
تبعا له يقال استطال فلان على كذا وكذا اي ظهر عليه وتقدم في علمه خلف ظهره وليست
هذه حال العالم فان العالم يستظهر بكتاب الله على كل ما سواه فيقدمه ويحكمه ويجعله
امامه فالمستظهر بالكتاب موفق سعيد والمستظهر عليه مخذول وعن اذن الله
بعيد واما من انعم الله عليه بنعمة فاستظهر بها على عباده واختال وتكبر وتعاظم
وتجبر فهو ايضا خائن غير مامون وبغمره وقلة رايه وتدبره مفتون قد سلب
اسم الشكر وتحلى بمعنى الكفر وقد استعرضها للنفور لان نعم الله لا تقر عند كفور وفي
كتاب الله تعالى ولئن شكرتم لازيدنكم ولئن كفرتم ان عذابي لشديد وفي الحديث
عن جابر رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من ابلي بلاء فذكره فقد شكره
وان كتمه فقد كفره رواه ابو داود ورواه الترمذي وحسنه ولفظه من اعطي عطاء فليجزه

ان وجد وان لم يجد فليثن بما ان من اثنى به فقد شكره ومن كتمه فقد كفره ومن تحلى بما
يعط كلابس ثوبي زور اى ذي زور وهو الذى يزور على الناس يتزيا بزى اهل
الزهد رياء او يظهر ان عليه ثوبين وليس عليه الا ثوب واحد وعن النعمان بن بشير
مرفوعا من لم يشكر القليل لم يشكر الكثير ومن لم يشكر الناس لم يشكر الله عز وجل والتحدث
بنعمة الله عز وجل شكر وتركها كفر والجماعة رحمة والفرقة عذاب رواه الامام احمد
قال الامام ابن مفلح في اداب حديث حسن واخرج الامام احمد والترمذى وحسنه
عن ابن سعيد رضى الله عنه مرفوعا من لم يشكر الناس لم يشكر الله عز وجل وفي لفظ عند
الامام احمد والترمذى وابى داود باسناد صحيح من حديث ابى هريرة رضى الله عنه
عن النبى صلى الله عليه وسلم لا يشكر الله من لا يشكر الناس وقال سليمان التيمى ان
الله عز وجل انعم على عباده بقدر طاقتهم وكلفهم الشكر بقدر طاقتهم فقالوا كل شكر
وان قل جليل نوال وان جل فاذا لم يشكر المرء قد عرض النعمة للزوال وسماها بسمة
قيل الشكر قيد للنعم الموجودة وصيد للنعم المفقودة ومن كلامهم كفران النعم بوار
وهو وسيلة الى الفرار ومن كلامهم استزيدوا نعم الله بالشكر واستدم ذا بالخضوع
حسن الجوار حصن نعمتك من الزوال بكثرة العطايا والافضال لا يفي للنعمة اذا كثرت
ولا زوال لها اذا شكرت وعن معاوية رضى الله عنه قال قام فينا رسول الله صلى الله
عليه وسلم الا ان من كان قبلكم من اهل الكتاب افترقوا على ثنتين وسبعين ملة وان
هذه الامة ستفترق على ثلاثة وسبعين ثنتان وسبعون في النار وواحدة
في الجنة وهي الجماعة رواه الامام احمد وابو داود والترمذى في رواية وانه سيخرج في امتى
اقوام تتجارى بهم الاهواء كما يتجارى الكلب بصاحبه لا يبقى منه عرق ولا مفصل
الا دخله الكلب بفتح الكاف واللام قال الخطابى هو داء يعرض للانسان من
عضة الكلب الكلب قال وعلامة ذلك في الكلب ان تحمر عيناه ولا يزال يدخل ذنبه
بين رجليه فاذا راى انسانا ساوره فكل من استظهر عما انعم الله عليه من

العلم

العلم على كتابه او على عباده فهو من الذين يقولون انهم مؤمنون وليسوا بمؤمنين
القسم الثاني من حملة العلم الذى لا يصلح لمجالسة المنقاد وهو المسار اليسير مرفوعا رضى الله عنه
ومنقادا لاهل الحق لا بصيرة له في احنائه يقدح الشكل في قلبه باول عارض من
شبهة لانه اول ما يتشبث لمن العلوم الفاضحة والحكم الناصحة لانه صنعيق البصيرة فيه
مع كونه منقادا لاهله وهذه حال اتباع الحق من مقلديهم وهو لاء ان كانوا
على سبيل نجاة فليسوا من الائمة الذين هم دعاة الدين وائمتهم من ملتزمى سواد الجنين
لان امر ايه وفرسانه والمنقاد منفعل من قاده يقوده وهو مصاغ قاد وآصله منقود
كمكتسب حركت الياء وانفتح ما قبلها فقلبت الفا فصار منقادا يقال قد زفانقاد
اى لم يمتنع بل جره خلفه سلسل لانقياد ليس الجانب مستبصر ولا قال
لا بصيرة لها اى لا نور له ولا معرفة ولا تحقيق في الامور ولا تدقيق في امعان
النظر في الامور وقول عمر رضى الله عنه في احنائه الاضلاع جنوك علم وطى الجوانب
والنواحي والعرب تقول ازجر احنا طيرك اى امسك نواحي خفتك وطيشك يمينا وشمالا
وامامك وخلفا وقال لبيد فقلت ازجر احنا طيرك واعلمن بانك ان قدمت رحلك
عاثر وآصلها هنا الخفة والطيش وفي القاموس احنا الامور متشابهها كانه
قال رضى الله عنه لا فطنة له في امور المتشابهة قال في القاموس البصيرة عبدة
القلب والفطنة والحجة وقول عمر رضى الله عنه يقدح الشكل في قلبه باول عارض من شبهة
مطاوع قدح كمنع طعن وصح بالزند او الابرة كاقدح واقتدح الامر نذيره وحقيقة
الشكل التردد بين طرفين لا مزية لاحدهما على الاخر ويراد به ما قابل اليقين كما في القاموس
وجمعه شكوك والقلب هو الشكل الصنوبرى الذى قيل فيه صلى الله عليه وسلم اذا صلح صلح
له سائر الجسد قال في القاموس القلب الفؤاد واخص منه والعقل ومحض كل شيء اى
ان هذا المتسرسل المنقاد يدخل فؤاده الشكل باول عارض اى باول سانح سنح وخاطر خطر
من شبهة قدحت فيه الشك والريب واثرت لها اثرا بخلاف الراسخ في العلم الوارد عليه من

الشكل ذو لضعف عليه وقلة
بصيرته اذا ورد عليه
ادنى شبهة ٢٢

شبكة الألوكة
www.alukah.net

الشبه

التشبيه بعدد امواج البحار ما زالت يقينه ولا قدحت فيه شكا لكونه قد رسخ في العلم فلا
تستفزه الشبهات بل اذا وردت عليه ردها حريدا العلم وحاجب الفهم مخذولة مغلوبة والشبه
واردة على القلب يحول بينه وبين انكشاف الحق له فتى باشر القلب حقيقة العلم
لم تؤثر تلك الشبهة فيه بل يقوى علمه ويقينه بتردها ومعرفة بطلانها ومتى لم يباشر حقيقة

كلام الشيخ لابن القيم

العلم بالحق قلبه قدحت فيه الشكاوك وهلة فان تداركها والا تتابعت على قلبه امثالها حتى
يصير شاكا مرتابا والقلب يتوارده جيشان من الباطل جيش شهوات الغي وجيش شبهات
الباطل والغي فايهما صفى اليها وركن اليها تشربها وامتلا بها فينضح لسانه وجوارحه
بموجبها فان اشرب شبهات الباطل تفجرت على لسانه الشكوك والشبهات والايرادات
فيظن الجاهل ان ذلك لسعة علمه وانما ذلك من عدم فهمه وبقينه وكون قلبه امتلا من ذلك
كما قيل وكل اناء بالذي فيه ينضح قال الامام العلامة ابن القيم قال لي شيخ الاسلام يعني
ابن تيمية رضي الله عنه وقد جعلت اورد عليه ايرادا بعد ايراد لا تجعل قليل الايرادات
والشبهات مثل السفيجة فتشربها فلا تنضح الا بها ولكن اجعلها كالزاجة المصمتة
تمر الشبهات بظاهرها ولا تستقر فيها فيراها بصفايه ويدفعها بصلابته والا
فاذا اشربت قلبك كل شبهة تمر عليك صار مقرا للشبهات قال ابن القيم فاعلم ان
انتفعت بوضيئة في دفع الشبهات كما ينتفاعي بذلك وانما سميت الشبهة شبهة
لاشتباه الحق بالباطل فيها فانها تلبس ثوب الحق على جسم الباطل كما ان الدنيا تلبس
ثوب الصادقة على جسم العداوة كما قال ابو نواس وما الناس الا هالك وابن هالك وذو نسب
في الهالكين عريق واذا امتحن الدنيا لبيب تكشفت له عن عدو في ثياب صديق واعلم ان
اكثر الناس اصحاب حس ظاهر فنظر الناظر فيما البسته الشبهة من اللباس فيعتقد
صحتها واما صاحب العلم واليقين فانه لا يغتر بالظاهر بل يجاوز نظره الى باطنها
وما تحت لباسها فيكشف له عن حقيقتها ومثال ذلك الدرهم الزايف فانه يغتر به
الجاهل بالنقد نظرا الى ما عليه من لباس الفضة واما الناقد البصير الفاضل يجاوز
نظره اليها وراء ذلك فيطلع على زيفه فالمقلد الحسن الفصيح للشبهة بمنزلة اللباس من

الفضة

الفضة على الدرهم الزايف والمعنى الذي تحته وكم قد قتل هذا الاغترار من
خلق لا يحصيهم الا الذي خلقهم شانه واذا تامل العاقل الفطن هذا وتدبره
راى اكثر الناس يقبل المذهب والمقالة بلفظ ويردها بلفظ آخر وهذا
اكثر من ان يذكر وقد ردد من الحق بتشنيعه بلباس من اللفظ قبيح وفي مثل هذا قال
ايمة السنة والجماعة منهم سيدنا الامام احمد رضوان الله عليه لا تزيل عن الله تعالى صفة
من صفاته لاجل شناعة شنعت فهولاء الجهمية يسمون اثبات صفات الكمال من الحياة
والعلم والكلام والسمع والبصر وسايرما وصف به نفسه تشبيها وتجسيما والروافض يسمون
اهل السنة نواصب فلا يغتر من هذا المعنى الحق لاجل هذه التسمية الباطلة الا العقول
القاصرة والفهوم العاطلة حظا في البصاير رديئ العقاصر وكل اهل نحلة ومقالة
يكسون نحلتهم ومقالتهم احسن ما يقدرون عليه من الالفاظ بلى محلة لتلبسون مقالة
مخالفيهم اقبح ما يقدرون عليه من الفاظ المهجنة والرذالة ومن رزق بصيرة نافذة و
فطنة ناقدة فانه يكشف بها عن حقيقة ما تحت تلك الالفاظ والالقاب ولا يغتر بتلك
الملابس والالقاب كما قيل هذا جنى النحل تمدحه وان تشا قلت ذا قي الزنابير ذما وهذا
وما جاورت وصفهما والحق يعتريه سوء تعبير من العباد قال اذا اراد الاطلاع على كنه المعنى
هل هو حق او باطل جرده من لباس العبارة وسلبه تلك الالفاظ المعارة وجرد قلبه عن
النفرة والميل والانحراف واعط النظر حقه بالحكم والانصاف لا كمن نظر في مقالة
اصحابه ومتبوعيه فان ظنه بالامعان في مقالة حضوصدر من نبي سيء ظنه بالبشر
والنقصان فان النظر بعين العداوة كما يرى الانسان الحق باطلا وعكسه بعكسه كما قيل
وعين الرضا عن كل عيب كليلة كما ان عين السخط تبدي المساويا وقال الاخر وللعذر
عين الامر اض عيوسة وعين الرضا مكحولة بالتبسم وقال الاخر نظر وا بعين عدوة
ولوانها عين الرضا لاتبينت حسنا ما استقبحوا فاذا كان هذا نظر العين في ادراكها
المحسوسات ولا يتمكن من المكابرة فكيف البصيرة التي حقها ان يريها الحق حقا
فالظن بنظر القلب الذي هو بدرك المعاني التي هي عرضة للمكابرة فسال الله سبحانه ان يريها الحق حقا

شبكة الألوكة www.alukah.net

وبرزقنا التباعد عن ربنا الباطل باطلا وبرزقنا اجتنابه وفي قول سيدنا علي رضي الله عنه باطل
عارض من شبهة دليل على ضعف عقل هذا المنقاد المسترسل وقلة معرفته حيث توقف فيه
محركا واميل الامور للبوادر وهذا بخلاف الثابت التام العقل فانه لا تستفزه البدوات
ولا تقلقله الخطرات ولا ترجحه الشبهات ولا تشبيه الترهات فان الباطل له دهشة وروعة
في اوله فاذا ثبت له القلب رد على عقبه والله يحب من عبده الحلم والاناة فلا يعجل الحاسر
قبل استحكامه بل يثبت حتى يعلم ويستيقن ما ورد عليه فان العجلة والطيش من الشيطان
فمن ثبت عند صدمة البدوات استقبل امره بعلم وحزم ومن لم يثبت لها استقبله بعجلة
وطيش وعاقبته الندامة كما ان عاقبة الاول حمد امره والسلامة وكل له افة وهي الفوت فانه
لا يخلو في من التثبت الا الفوت فاذا اقترن به العزم والحزم نجا من تلك الافة وتم امره ولهذا
جاء في الدعاء النبوي اللهم انا نسألك الثبات في الامر والعزيمة على الرشد وروى الامام احمد
وغيره وهما كلمتان هما جماع الفلاح وما ان على العبد الا من تضييعهما او تضييع
احدهما فما بالعجلة والطيش واستفزاز البدوات له وهذا ضد الثبات او من باب
التهاون والتماون وتضييع الفرصة عند تهيئها وهذا ضد العزيمة فاذا حصل
للعبد الثبات اولا والعزيمة ثانيا افلح كل الفلاح والله ولي التوفيق والنجاح وقوله
رضي الله عنه لا اذا ولا ذاك اي ان هذا المنقاد امعة كيفما وجه توجه فلا بد وان يكون على حال
فتارة يستحسن شيئا ويستقبح ضده واخرى يستقبح ما استحسن ويستحسن ما استقبح
فهو كما قيل يهيم بهذا شربا لف غيره ويسلوهما من وقته حين يصح وهذا دليل
على ضعف فهمه وخساسة علمه وسقوط همته وتمام استرساله وهذا هو المقلد
المحض وقد اختلف في ايمانه من يهيم التوحيد والصحيح ان مثل هذا لا يكفى وهو عدم
ثبوته على حالة واما من قلد اماما متبوعا وكان جازما فيما قلد به بحيث لو اتى بالف
شبهة ودليل ما نظر الى شيء منها فهذا يقبل تقليده ويكفيه واخبرني بعض اشياخنا
قال كان عندنا يعني في الشام طالب علم نجدي نلقى عليه المسايل ونقيم له الادلة
وتوضح

ونوضح عنده البراهين فلا يلتفت الى شيء من ذلك ويقول لنا قال لي شيخي شيخ الاسلام ابو
الوهاب كذا وكذا فلو اتيتموني بكل الادلة العقلية ما نظرت لشيء منها الا وافق
مقالة شيخي فهذا وامثاله وان كانا بالنسبة للمستبصرين ناقصي الحظ غير ان تقليده
صامدا لا شيء على خرجه من رجاح الشبهات ولا تقلقله خطرات البدوات وهذا ليس
من الذين ذمهم سيدنا الامام علي فانهم وان كانوا في عداد الكلة منقادا لمقالة المستبصر
فهو على سبيل نجاة في فهم والده تعالى علم الصنف الثالث من حملة العلم الذين لا يفلحون
لحمل من فهمه في سهل الوعر وهو الذي اشار اليه الامام علي كرم الله وجهه في قوله
او سهو ما بالذان سلس لا يعيا وذلهوان قال في القاموس الذهاب كسحاب الراحة
الشهوة في الطعام او ان لا تمتلئ عين الاكل ولا يشبع يقال ذهر كفرح فهو ذهم وذهيم
ومذهوم وهو مذهوم بكذا مولع به وفي نهاية ابن الاثير الذهمة هو غ الهمة والشيء
ومنه اللهم اني اعوذ بك من الجوع فانه بئس الضجيع ومنه الحديث مذهوم لا يشبع اي طالب علم وطالب دنيا فما
اراد به في كلام سيدنا الامام علي رضوان الله عليه ان هذا الرجل مولع بادراك كل
لذاته باذل وسعه وهمته في اقتناص اوابده والذان جمع لذة تقبض الالف يقال
لذ الشيء يلذ اذا وذ لذاذة فالذ والتذ والتذ به واستلذه وجده لذيذا ولذ الشيء
صار لذيذا اي صار مشتهى والسلس كقنب السهل اللين المنقاد والاسم سلس
والانقياد انفعال من قاد يقود تقبض السوق فالقود من امام والسوق من
خلف يقال اقتاد الدابة فانقادت وقادت وقاد فلان اعطى فلان مقادته انقاد له
وقوله للشهوان متعلق بالانقياد والشهوان جمع شهوة وهي تشبث النفس
الامارة به يقال استهى الشيء كرضيه واشتهاه كرعاه واشتهاه احبه ورغب فيه فهذا
الصنف منقاد لداعي الشهوة ابى كان فلا ينال درجة الذرى النبوي ولا العلم الالهي
اذ حصول ذلك مشروط بهجر اللذان وتطليق الراحة قال الامام مسلم في صحيحه قال
يحيى بن ابي كثير لا ينال العلم براحة الجسد وقال ابراهيم الحربي رأيت علما لا كلفة ان العلم
لا يدرك بالنعيم ومن آثر الراحة فاتته الراحة وقال غيره لن ينال الكرامة الا من قال

قال الى شيء ابو الوهاب

الذة

وتشتهاه ؟

للكرى منه اى ينال كرامة العلم والتقرب به والفهم الاسن قال النوم الذى هو الكرى صاحى
الكف اى طلق النوم وسهر الليالى لينال المعالى فالصاحب الذات ودرجة ورثة الانبيا
عليهم الصلاة والسلام فدع عنك الكمانية لست منها ولو سودت ثوبك يا مداد حمار
والكتابة بديهاه كدعوى آل حرجت زيادة وفات العلم صناعة القلب وشغله فالعلم
ينفرغ لصناعته وشغله لم يقبلها والقلب له وجهة واحدة فاذا توجهت الذات
والشهوات انصرفت عن العلم ومن لم تغلب لذة ادراك العلم وشهوته على لذة جمعه
وشهوة نفسه لم ينل درجة العلم ابدا فاذا صارت شهوته فيه ولذته فى ادراك معانيه
رجى ان يكون من حملته اهله فان العلم يدرك بفضل الله ومنته والاجتهاد بسبب
لذا كرم اللذة والانهماك فى تحصيله من لزم الباب فتح له من حد وجد ومن قرع ولج
ومما ينسب الى سيدنا عمر بن عبد العزيز كما نقله شيخ مشايخنا الشيخ عبد الباقى مفتى
السادة الحنابلة قوله تعلم طيبى الحر بولدعا ما وليس اخو علم كمن هو جاهل فان كبير
القوم لا علم عنده صغر اذا التفت عليه المحافل فلم اصبح لن تنال العلم الا بستة سانبيك
عنها مفصلا ببيان ذكا وحرص واجتهاد وبلغة وصحبة استاذ وطول زمان وقال الا
ضمعى من لم يجد ذل التعلم ساعة بقى فى ذل الجهل ابدا ونظم ذلك بعضهم فى قوله
وقال عبد الله ابن المعتز المتواضع فى طلبة العلم اكثرهم علما كما ان المكان المنخفض
اكثر السقاء ماء وقد نظم هذا ابو عامر السنوى فقال العلم يا فتى كل ذى خفض وبا بوكل
ابى كما ينزل الوهاد ولبس يصعد فى الروابى وقد تقدم ان لذة العلم روحانية
فهى من جنس لذة الملائكة وان لذة شهوة البطن والفرج فيها شارك الانسان فيها الحيوان
فهى حيوانية ولذة الشر والظلم والفساد والعلو والتكبر شيطانية يشارك صاحبها
فيها ابليس وجنوده وسائر اللذات تبطل وتضمحل بمفارقة الروح البدن سوى لذة
العلم والايمان فانها تزيد بانطلاق الروح عن البدن فان البدن وشواغله كانت
ينقص الروح ويحجبها عن ادراك غايتها فاذا فارقه الروح البدن التذت لذة
كاملة فى طلب اللذة العظمى والنعيم المقيم فعليك بالعلم والايمان اللذين بهما كمال السعادة
للانسان

للانسان وقد اشرنا الى طرف صالح من ذلك فيما تقدم فهاوه تظفر بما تريد والله
اعلم المصنف الرابع من حرصه ورغبته فى جمع الاموال وتثميرها وادخارها وتكثيرها
وقد اشار اليه رضى الله عنه بقوله او حرى بجمع الاموال والادخار متحرى ما غرى
به كرضى غرى وغرا ولع كما غراه كما فى القاموس وكانه ما حرى من الغرا بالقصر والمد
ما يلصق به الانيا ويستخرج من اطراف الجلود والسمك ومنه حديث عمرو بن سلمة
الجرمى فكنا بمر بنا فى صدوى اى يلصق به بقال غرى هذا الحديث فى صدرى بالكسر
يغرى بالفتح كانه الصق بالغرا فكان هذا الرجل ملصق حب الانيا وجمعها
وادخارها فى قلبه والجمع ضم بعضها الى بعض والادخار الاكتناز والاحتفاظ
واصله بالدال المعجمة اى اعرت فى تناقل فى تعلمت ط الاوقال ابن الاثير هذه
اللفظة هكذا ينطق بها بالدال المهملة يعنى ادخر واصل الادخار الاتخار وهو التعمل
من الذخر بالضم يقال اذخر يذخر ذخرا فهو ذاخر يعنى بالدال المعجمة واذخر فهو
مذخر اذا اعد ذلك الى وقت الحاجة اليه فلما اراد ان يدغموا التخ الشطق قلبوا يعنى الدال الذال
التا الى ما يقارب من الحروف وهو الدال المهملة لانها من مخرج واحد فصارت اللفظة
مذ خرة بالذال والذال وتلخ فيه مذهبان احدهما وهو الاكثر ان تقلب الذال المعجمة
دالا وتدغم فيها فتصير الاشد دة والثانى وهو الاقل ان تقلب المهملة ذالا مشد دة معجمة
كما وهذا العمل مصدر فى اشاله نحو اذكر انتهى فهذه تهمته ورغبته انما هى فى جمع الاموال
وادخارها والحرص على تحصيلها واستثمارها فليس فيما سواها رغبة ولا التفات الى ما عداها طلبة
فهو وان تعرض لطلب العلم فليس مقصودا الا اجتماعها واقتناصها فلا يزال دائبا فى طلبها
معرى فى حبها وان كانت له طلبة علم فلا يبالها فاما عن هوى ليلى وذكر مجاز يارتها فان
لا تنوه قال الامام والعلامة الحافظ ابن الجوزى ينبغى للعالم ان يصون علمه ولا يبذله
ولا يحمله الى الناس خصوصا الامراء بل يجب عليه صون ناموس العلم وترفعه عن الانطراح
لارباب الاموال والولايات وما احسن قول القاضى ابى الحسن الجرجانى لنفسه يقول له
لى بكل انقباض وانما راوا رجلا عن موقف الذل احجما اترى الناس من داناهم هانوا عندهم

اكبر شهوة النفس اكرمها وهو الرياسة فان كان كذلك بدا طلع صيرته لسلمان فقيل
هذا منهم على قلته فذاك مع ولكن نفس الحرص تحمل العلماء على ابتذال في خدمة العلم ليحصل
لاخذهم حتى لا تنتهي الكلام عليه استغنى به عن سؤال واحتياجه فاذا حصل العلم تقدم على اقرانه
مولوا اهل العلم صانوه صانهم وعظموه عظمهم في النفوس لعظم العلم وكان الملوك مفتقرون ودليسوا
حيا بالاطلاع على نفوسهم وفي الحديث ان من رفع عالما لعلمه اجلسه الله يوم القيامة على
غاية كل شيء والارض تكثر بها من كل شيء حتى بلغ حماد بن سلمة وذكره الامام ابن
فلح في الاداب الكبرى والله سبحانه الموفق وقوله رضي الله عنه ليس هو من رعاة الدنيا
فليس هو ولا الاربعة الذين ذكرهم من رعاة الدين ولا من اتباع العلم الراسخين ولا من المتشبهين
بحملته واهله المدعين لهم ولم يدعوا فضله بل هم فتنة للجاهل مفتون وصحبة الجاهل المتحير
معترك لاهل الترجيح والظنون فان الناس يتشبهون بهم لما يظنون عندهم من العلم وقد قال
لسنا خيرا من هؤلاء اصحاب المعارف والعلوم فهم حجة لكل مايل وشر ترك لكل ضال جاهل وهذا
قال بعض الصحابة ذوي المناقب والفضائل احذروا فتنة العالم الفاجر والعابد الجاهل
فان فتنتهما فتنة لكل مفتون ولذا قيل فساد العالم متهتك واكبر منه جاهل متنسك
هما فتنة للعالمين عظيمة لمن بهما وبدينهم يتمسك وللامام الهمام عبد الله بن المبارك
رضي الله عنه في هذين الاصناف الملوك واحبار سوء ورهبانها وقوله رضي الله عنه اقرب
شبها بهم الانعام السائمة اي ان الانعام السائمة من الابل والبقر والغنم اقرب شبها
من شبه ذوي العقول من بني ادم فان العاقل لا يبيع الياقوت بالنوى ولا يغضب الخالق
برضى المخلوق كما قال جل ثناؤه انهم الا كالانعام بل هم اضل سبيلا قال الفقيه في عياض
النعم الابل خاصة فاذا قيل لا نعلم دخل فيها البقر والغنم وقيدهما الفظان بمعنى
واحد على الجميع ذكره في المطالع ومعنى السائمة الراعية قال الجوهري سامت الماشية
رعت واسمتها اخرجتها الى الراعي وما ينبغي ان يعلم ان الله جل شانه خلق الخلق على ثلاثة
اقسام لهم عقل بلا شهوة وهم الملائكة وسخر لهم شهوة بلا عقل وهم الدواب من بهيمة الانعام
وغيرها وقسم لهم عقل ولهم شهوة وهم الثقلان الانس والجن والتكليف منوط بهم لما عقله
شهوته

شهوته التحق بالملائكة بل كان ارقى منزلة واعلى درجة لكونه مغلب هواه وقهر نفسه وطاعة مولاه
ومن غلبت شهوته عقله كان اخس من البهائم بل البهائم هو فيها بمنزلة المعاقل لا يعرف قدره ويصون
جوهر نفسه عن اذيد سفها ويسارع الى التوبة فيصير بعد كبوته ارقى من حالته الاولى بفعل
العلاقة وحسن المتابعة الى الخطيئة الاولى وبرى صورة مثلى معرضا للبهائم السارحة في
الفلوات المباركة بل الخشب عليها قدرا وادنى منزلة او خيرا قال المسيبي لولا العقول للمان
الفواسق المباركة بل الخشب عليها قدرا وادنى منزلة او خيرا قال المسيبي لولا العقول للمان
اذل مضيعها في الشرف من الانسان وقال ارسطاطاليس النفوس المتحيوة هو ما تشترك
الشهوة والله البهيمة بطبعها لا خوفا وقال من كان همه الاكل والشرب والنكاح فهو بطبع
البهائم اذا خلي بينها وبين ما تريد لم تفعل غير ذلك وقال ليس من الحزم ان تحيا النفوس
وطلب الشهوات بل قوة ادراك العلم العلوي الرفيع واعلم ان قدر الادمي معظم بالعلم
والمعارف لا بالصورة الجسمانية بل خادم الجسم لانه بجدمته فانت بالروح
لا بالجسم انسان بالله عليك يا الله عليك يا مرفوع بالتقوى لقدر بالتقوى لا تتبع غرضها
بذل المعاصي فانها لا هوا وصاير بعطش الهوى في حر المشتهى وان امرضها ترض
فاذا بلغت المأمول من الصبر وذقت من حلاوة الطاعة والمعرفة مثقال ذرة فاحتكم
هناك بما تريد فهو مقام من لو اقسم على الله لابره فيا لله عليك تذوق حلاوة الكف
الكف عن الشهوة فانها شجرة تنبت في الدنيا وثمرتها في الاخرة وحبذا نعم ما نسب العاصي
باسمه واسم ابيه فيا اهل العلم والعمل من ذوي المقدار فالالتفات بفضل الانسان
صغير في جنب ما عليك والى اي مقام ارتفع قدرك وعلى الاقران فخرك قال
الامام الحافظ ابن الجوزي فيا من لا يهتم عن مشتهى بالله عليك اتدري من الرجل
الرجل والله من اذا خلا بما يحب من الحرام وقدر عليه وتقلقل عطشا اليه
نظر الى نظر الحق اليه فاستحى من اجلاله فهم فيما يكرهه ذهب العطش كما لو ترك
لنا الماء لشفى او ما لا تصدق الشهوة فيه او ما لا تقدر عليه كذا والله عادتك
اذا تصدقت اعطيت كرة لا تصلح لكلا وفي جماعة يمدحونك بهيمات والله لا تشتهي
ولا يتم احتى تكون معاملتك لنا خالصة تبتدل اعطانا بذلك وتترك شهوتها تكن تصبر

الكلام الخلق ثلاثة اقسام

ويحك

على بكر وها تذكر علما مع ان كنت عالما لكن خير وما غربت الشمس فان كنت محبا رايت ذلك قليلا
في جنب ربي جبيل عنك تسلى واعلم ان سيدنا امير المؤمنين رضي الله عنه لما شبه هذا
الصنف من البهائم لكونهم همتهم رعي الدنيا وحطامها والله سبحانه ينبه اهل الجهل والغي
انهم في الانعام وقاربوا بالحمير وهذا تشبيه لمن تعلم علما ولم يعقله ولم يحمل به فهو
كالحمار الذي يحمل الاسفار وقارنه بالكلب وهذا لمن انسلخ من العلم الذي هو للكل
زاد دوى واخلد الى الشهوات والهوى كما في قصة بلعم بن باعور المذكورة في قوله
تعالى واتل عليهم نبأ الذي اتيناه ايآتنا الآيات تنبيه يوخذ من فحوى كلام سيدنا
الامام علي كرم الله وجهه جواز كتم العلوم لعدم اهلية الحملة بل يجب عليه
الكتم ان خاف ضررا وقد قال الامام العلامة ابن عقيل في فصونه حرام على عالم فوق
الجواهر ادراك بجوهريته وصفا خاطره علما اطاقه فحمله الى بر شيخ بذا الى ضعيف
لا يحمله ولا يحتمله فانه يفسده ولهذا قال عليه الصلاة والسلام نحن معاشر
الانبياء امرنا ان نكلم الناس على قدر عقولهم واخرج الحافظ الضياء في المختارة من
رواية المحمد بن زياد العنكي حدثنا الاسود بن سالم ثنا ابو عبد الرحمن بن يزيد بن
يزيد الزراد عن محمد بن علي ابن نافع عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم انه
قال يا معشر الانبياء ان كلم الناس على قدر عقولهم وقال البخاري قال علي كرم
الله وجهه حدثوا الناس بما يعرفون ودعوا ما ينكرون اتحبون ان يكذب الله
ورسوله وقال ابن مسعود رضي الله عنه ما انت محدث قوما حديثا لا تبلغه عقولهم
الا كان فتنة لبعضهم رواه مسلم في المقدمة وغيره بعضهم الى البخاري وروى
البخاري عن المقدام بن معدي كرب مرفوعا اذا حدث الناس عن ربهم فلا تحدثهم
ما ينفرهم عنهم ويتنف عليهم وقال ابن عقيل واما الامة من مخالفة الاغبياء واحمرارهم
من اجل استماع ذوي جهالة الحق والانكار والله ما برح الخواص عباد الله يتطلبون
لنزوحهم عن جاهلهم روس الجبال والبراري والقفار لما يرونه من المنكرين لشاهد
من الاخبار وقال الامام ابو الفرج ابن الجوزي ولا ينبغي لعالم ان يحمل ما لا تحتمله عقول
العوام

العوام وقال المروذي سالت ابا عبد الله عن شيء من امر العدل فقال لا تسال عن هذا
فانك لا تدركه وقال الامام احمد ايضا فيما يروى عن ايوب قال لا تحدثوا الناس بما لا
يعلمون اولا يعرفون فتضروهم وصح عن مسروق انه قال لا تنشر كل العلم عند
بغيه رواه الامام احمد وقال يعني الحديث وقال شعبة اتاني الاعمش وانا
احدث قوما فقال ويحك تعلق اللولو في اعناق الخنازير قال مهنا لاحمد رضي الله
عنه ما معنى قوله قال لا ينبغي ان يحدث بما لا يبلغه عقل وقال عبد الله حدثني ابي قال
قال سفيان قال عيسى بن مريم عليه السلام للحكمة اهل فان وضعتها في غير اهلها ضيعت
وان منعتها من اهلها ضيعت كن كالطبيب يضع الدواء حيث ينبغي وقال عبد
الرزاق عن معمر عن رجل هو عمرو بن عبد الله عن عكرمة قال قال عيسى عليه السلام
لا تطرح اللولو الى الخنزير فان الخنزير لا يصنع باللولو شيئا ولا تعط الحكمة من لا
يريدها فان الحكمة خير من اللولو ومن لا يريدها شر من الخنزير وقال الامام مالك
رضي الله عنه ذل واهانة للعلم ان تتكلم به عند من يضيعه وقال كثير بن مرة الحضرمي
لا تحدث بالحكمة عند السفهاء فيكذبوك ولا تحدث بالباطل عند الحكماء فيمقتوك
لا تمنع العلم اهله فتاثم ولا تحدث به غير اهله فتجهل ان تعلبك في علمك حقا كما ان
عليك في مالك حقا ذكره البيهقي وغيره وفي الصحيح عن قول ابن عباس لعمر رضي الله
عنهما ان الموسم يجمع الرعاع والغوغاء فانهم حتى يقدم المدينة فتخلص باهل الفقه فقدمنا
وذكر الخبر قبل مشورة ابن عباس فلم يتكلم بذلك حتى قدم المدينة قال ابن الجوزي
وفي هذا تنبيه على ان لا يودع العلم عند غير اهله ولا يحدث القليل الفهم ما لا يحتمله
فهمه قال والرعاع السفلة والغوغاء نحو ذلك واصل الغوغاء صغار الجراد ومن كلام
الامام الشافعي رضي الله عنه الشر دار بن ساردة العلم انظم مشورا لمراعية الغنم
لعمري لبئس ضيعت في شر بلدة يا فلست مضيعا بينهم غير الكلم فان فرج الله اللطيف لطفه
وصادف اهلا للعلوم والحكم يبثها عبدا فاستفدى وداده واستعبدى والا فصن لصا ومكتتم
من منح الجهال علما اضاعه ومن منع المستوجبين فقد ظلم فكتمان العلم عند اكثر الناس

شبكة الألوكة
www.alukah.net

الذين لا يتقربون بناموسه او يتخذون وسيلة الى غير ما يقربهم ويحملونه على خلاف محامله
واشتاء هو المطلوب ولهذا قال فالعلوم الكليم ينبغي ان يمنع من الاشتغال العلوم التي تزيد
في قوة النفس وحسن تصرفها ويقتصر بها على الديانات التي تفشر وقد فاتها
ذكر الى الاعتدال ما شذ منها فان غير هذه من العلوم ان عدل بها عن اهل الفضل الى
الاشرار كان لهم كالاجنحة للعقاب التي تعينها على الارتفاع وقال ايضا الفضائل تستحيل
في النفوس الرذيلة رذائل كما يستحيل الغذاء الصالح في البدن الفاسد الى الفساد والحاصل
ان العلم كالسيف ان منحته لمن جاهد به في سبيل الله وان اعطيته لشقي قاتل به اوليا
الله وقطع به الطريق عن عباد الله وهذا مستثنى من عموم قوله عليه الصلاة
والسلام من سئل عن علم فكتمه الجم الله بلجام من نار رواه ابو داود والترمذي وحسنه
وابن ماجة وابن حبان في صحيحه والبيهقي من حديث ابي هريرة ورواه الحاكم بنحوه وقال
صحيح على شرط الشيخين وفي رواية لابن ماجة ما من رجل يحفظ علما فيكتمه الا اتى يوم
ملجوما بلجام من نار ورواه ابن حبان والحاكم وقال صحيح الاخبار عليه من حديث عبد الله
ابن بريدة موقوفا بلفظ من كتم علما الجمه الله يوم القيمة بلجام من نار وابو يعلى والطبراني في الكبير
والاوسط من حديث ابن عباس مرفوعا بلفظ من سئل عن علم فكتمه جاء يوم القيمة ملجما بلجام
من نار وقد روى هذا الحديث عن عدة من الصحابة غير من ذكر منهم ابو سعيد الخدري وجابر
ابن عبد الله وانس بن مالك وعبد الله بن عمرو عبد الله بن مسعود وعمرو بن عبسة وعلي بن طالب
وغيرهم رضي الله عنهم وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم قال تناصحوا
في العلم فان خيانة احدكم في علمه اشد من خيانته في مال وان الله سائلكم رواه الطبراني
في الكبير قال الحافظ المنذري ورواته ثقات الا ان ابا سعد البقال واسمه سعيد بن
المرزبان فيه خلاف قال شيخ الاسلام بن تيمية طيب الله ثراه في بعض كلامه ان الكاتم
العلم يلعنه الله ويلعنه اللاعنون والمراد اذا لم يكن عذر ومرض صحيح فكتمانه وقال
ابن المبارك اذا كتم العالم علمه ابتلي اما بموت القلب او بشحي او تتبع السلطان ذكره البيهقي
والمراد كتم العلم عن اهله من غير عذر والله اعلم وقوله رضي الله عنه كذلك يموت العلم يموت حامليه

هذا

هذا روى من كلام النبي صلى الله عليه وسلم في حديث عبد الله بن عمرو عائشة وغيرهما
رضي الله عنهم ولفظه ان الله لا يقبض العلم انتزاعا ينتزعه من صدور العلماء ولكن
يقبض العلم بقبض العلماء فاذا لم يبق عالم اتخذ الناس رؤوسا جهالا فسئلوا فافتوا
بغير علم فضلوا واضلوا رواه البخاري ومسلم فذهاب العلم ظاهر بذهاب العلماء
ولذا قال ابن مسعود رضي الله عنه يوم مات عمر رضي الله عنه اني لاحسب تسعة اعشار
العلم اليوم قد ذهب وقد قدمنا قول عمر رضي الله عنه موت الف عابد هون من موت
عالم بصير بحلال الله وحرامه وقال ابن مسعود رضي الله عنه عليكم بالعلم قبل ان يقبض
وقبضه ذهاب اهله رواه عبد الرزاق وقال ابن الدرداء رضي الله عنه ما لي اراكم عالمين ولا اراكم
تعلمون ما لي اراكم تحرصون على ما قد تكفل لكم وتدعون ما امرتم به تعملوا
قبل ان يرفع العلم ورفع العلم ذهاب العلماء الا انا اعلم بشراركم من البيطار بالفرس منكم
الذين لا يأتون الصلاة الا دبارا ولا يقرؤون القرآن الا هجرا وقال الاوزاعي عن الزهري
كان من مضى يقولون علما يقول الاعتصام بالسنة نجاة والعلم يقبض قبضا سريعا
وبقبض العلم بيان الدين والدنيا وفي ذهاب العلم ذهاب ذلك كله ذكره البيهقي
وعن ابي امامة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم علكم بهذا العلم قبل ان يقبض
وقبضه قبل ان يرفع ورفعه ذهاب اصحابه الموطئ والى خلي الابهام هكذا ثم قال العالم والمتعلم
شريكان في الخير ولا خير في سائر الناس رواه ابن ماجة من طريق علي بن يزيد عن القاسم
عنه قال الحافظ المنذري علي بن يزيد وثقه الامام احمد وابن حبان وقال الدارقطني
متروك وقال البخاري منكر الحديث وقال ابو زرعة ليس بقوي والقاسم هو ابو عبد
الرحمن ابو عبد الرحمن صاحب ابي امامة قال الامام احمد روى عنه علي بن يزيد
احاديث مناكير وما ارى الاصل قبل القاسم وقال ابن حبان كان يروي عن اصحاب رسول
الله صلى الله عليه وسلم المعضلات ووثقه ابن معين والخوزجاني والترمذي وصححه
وقوله في الحديث ولا خير في سائر الناس اي بقية الناس بعد العالم والمتعلم وهو قريب
المعنى من قوله صلى الله عليه وسلم الدنيا ملعونة ملعون ما فيها الا ذكر الله وما والاه

هكذا في النسخ مولن

والحاصل

وعالما ومتعلما وفي الحاصل ان العلم انما يذهب بذهاب حملته الذين هم العلماء وذهابهم
اما موتهم واما قلة الاحتفال بشانهم والاخذ عنهم فان العلم انما يحصل بالتعليم
مع وصل الله وشحنه والاشارة في كلام سيدنا الامام رضي الله عنه راجعة الى عدم
احتفال الناس بالعلم وعكوفهم عليه لانهماكهم في الشهوات وانصبابهم على الدنيا
فيكون معنى كلامه رضي الله عنه من حيثية عدم وجود ما يصلح لمحل العلم وهو العلماء
ولم يستعلم منهم ولم ينقل علمهم الى غيرهم فاذا ماتوا ذهب العلم بموتهم يعني عدم
اهلية ما يحمل العلم وعدم بقاء العلماء موقف العلم قال الماوردي في تشبيه اي هذه الحالة
التي هي عدم الاحتفال بالعلماء حتى يصير اهلا لان يحملوه وعدم بقاء العلماء
بموت الاعلم اي يذهب ويضمحل قال وانما يذهب ذهابه ودثوره واضمحلاله وموت
العلماء ولم يتعلم منهم ولم ينقل علمهم الى غيرهم فاذا ماتوا ذهب العلم بموتهم وضمير
الذهاب عائد للكمال وقوله رضي الله عنه اللهم الا تخلو الارض منقائم لله بحجة
لئلا يبطل دين الله وهذا استثناء منقطع لان ما بعد الا ليس من جنس ما قبلها اللهم
غفور رحيم بل اغفر لي وارحم واختلف النحاة في الميم المشددة في آخر الاسم فقال سيبويه
زيدت عوضا عن حرف فلا يقال يا اللهم وانا اقول يا اللهم فضرورة
قال الامام ابن القيم في كتابه بدائع الفوائد ما نصه من هذا الاسم يسمى عوضا اذ هو
وغير محل المحذوف فان الحاء من محله سمي بدلا كالالف في قائم وتابع فانها بدل
عن الواو والياء ولا يجوز عند سيبويه ان يوصف هذا الاسم ايضا فلا يقال اللهم
الرحيم ارحمني ولا يبدل منه وايضا التي على اخر هذا الاسم المنادى المفرد وفتحت
الميم لسكونها وتكون الميم التي قبلها المدغم فيها وهذا من خصائص هذا الاسم كما
اختص بالتاء في القسم ويدخل حرف النداء عليه مع ال وبقطع همزة وصله في النداء
وتفخيم لامه وجوبا غير موصوفة بحرف اطباق فهذا ملخص مذهب سيبويه كالخليل
وقيل الميم عوض عما جملة هذه وقفة والتقدير يا الله امنا بخير اي اقصدنا في حذف
الجار

الجار والمجرور وحذف المفعول فيقتضي ان الله مرتجل وحذف الهمزة الكثير دورانه هذا اللهم
في الدعاء على السنتهم فيقول اللهم وهذا قول الفراء وصاحب هذا القول يجوز دخول
يا عليه ويحتج بقول الشاعر فقلت اللهم يا اللهما اردد علينا شيخنا مسلما ورد الهمزتين
هذا يوجب عنده ان هذه الميم ادل على التعويض والقياس لا يقتضيها والعقل
لا يرتضيها ومنها ان الاصل عدم الحذف والزيادة الداعي لهذا الاسم قام بدعوا بالمشر
على نفسه وعلى غيره ويعكر على هذا التقدير وايضا الشائع في فصيح لسان العرب
عدم الجمع بين يا واللهم ولولا كما ذكر الفراء لكان استعماله شائعا فصيحا والامر بخلافه
وايضا غير ممتنع ان يقول الداعي اللهم اغفر لنا بالخير وولها بالتقدير كما زعم لامتناع ذلك
فيه مع الجمع بين العوض والمعوض عنه غير ذلك الوجه الذي ينصر مذهب الخليل
ونحوه مذهب الكوفيين وقيل زيدت الميم للتعظيم والتفخيم فانه يقال اذا قال
اللهم ان اسالك كانه يقول ادعو الله الذي له الاسم الحسنى والصفات العلى
باسمائه وصفاته فاتى بالميم المؤذنة بالجمع في آخر هذا الاسم ايذانا بسمو الرب تعالى
باسمائه كلها ولذا قال الحسين اللهم مجمع الدعاء وقال ابو اسحاق العطار دعاني الميم في
قوله اللهم فيها تسعة وتسعون اسما من اسمائه تعالى وقال النضر اذا شتمل من
قال اللهم فقد دعا الله بجميع اسمائه وقد وجه هذا القول طايفة بان الميم هنا
بمنزلة الواو الدالة على الجمع من حرفها فكان الداعي يقول يا الله الذي جمعت
له الاسماء الحسنى والصفات العلى قالوا ولذلك تشدد لتكون عوضا عن علامتي الجمع وهي
الواو والنون في مسلمون ونحوه والحاصل ان التابع المشهور من مذهب سيبويه وهو
المذهب المنصور والله الموفق وفي قوله رضي الله عنه لا تخلو الارض من قائم لله بحجة
واراد به الاستحباب بل لا تخلو الارض من مجتهد قائم لله بحجة قبل على ان الارض لا تخلو
من مجتهد قايم لله بحجة على عباده هكذا راايت وبابر الروايات موعليه فيكون قوله
ذلك على سبيل الاخبار وقد علم ان اللهم لا تستعمل الا في الطلبية دون الاخبار وفي
النهاية تستعمل اللهم على ثلاثة انحاء احدها الندا الخالص ثانيها ان يذكر بعد المنادى

الجواب في نفس الامر كان يقول لكل قائل لا تقاتلهم فيقولون اللهم نعم او انهم لان النهاي تستعمل
دليلا على الندرة وقلة وقوع المذكور نحو قوله ما ارى كل اللهم اذا لم ترتدي الا ترى ان وقوع
الزيارة منكرونا بعدم الدعا قليل انتهى والتاسب على رواية اثبات الواو هو الثاني
والثالث والله اعلم ويدل على بقا الطايفة الحديث الصحيح عن ابي صلى
الله عليه وسلم لا تزال طايفة من امتي على الحق لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى
يأتي امر الله وهم على ذلك ويدل عليه ايضا ما رواه الترمذي عن انس رضي الله عنه قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل امتي مثل المطر لا يدرى اوله خير ام اخره قال
الترمذي حديث حسن غريب وفي الباب عن عثمان بن ياسر وعبد الله بن عمر ورضي الله
عنهم فلو لم تكن في اواخر الامة فاجر يحج الله بجهدهم لم يكونوا موصوفين
بهذه الخيرية وايضا هذه الامة اكمل الامم وخيرها اخرجت للناس وبينها
خاتم النبيين لا نبي بعده فجعل الله فيها العلما كما هلك عالم خلفه عالم ليلا تطمس
معالم الدين وتخفى اعلامه وكان بنو اسرايل كلما هلك نبي خلفه نبي فكانت تسوسهم
الانبيا وانه لما لهذه الامة كما لانبيا بني اسرايل وفي الحديث الصحيح يحمل
هذا العلم من كل خلف عدوله ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين
وتاويل الجاهلين وهذا يدل على انه لا بد ان يوجد في القرون قرنا بعد قرن
وفي صحيح ابي حاتم من حديث الحولاني قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لا يزال الله يغرس في هذا الدين غرسا يستعملهم في طاعته وعن ابي الله هم اهل العلم
والعمل فلو خلت الارض من عالم خلت من من الله قال في شرح التحرير ولا يجوز
خلو عصر عن مجتهد قال ابن مفلح لا يجوز بعد اصحابنا وطوايف خلو الزمان عن مجتهد
وذكره اكثر من تكلم في الاصول ولم يذكر ابن عقيل خلافه الا عن بعض المحدثين
واختاره عبد الوهاب المالكي وجمع منهم ومن غيرهم قال الكرماني في شرح البخاري
في قوله عليه الصلاة والسلام لا تزال طايفة من امتي ظاهرين الحق قال ابن بطال لان
امته اخر الامم وعليها تقوم الساعة وان ظهرت اشراطها وضعف الدين فلا بد ان يبقى من

امته

امته من يقوم به قال وان قيل قال النبي صلى الله عليه وسلم لا تقوم الساعة حتى لا يقول احد الله
الله وقال ايضا لا تقوم الساعة الا على اشرار الناس قلنا هذه الاحاديث لفظها عام
والمراد منها خاص والمعنى لا تقوم على احد يوحد الله تعالى لا يجوز ذا لا يجوز ان
تكون الطايفة القايمة بالحق التي توحد الله تعالى هي اشرار الخلق وقد جاء ذلك صريحا في
حديث ابي امامة الباهلي ان صلى الله عليه وسلم قال لا تزال الطايفة من امتي ظاهرين على الحق
لا يضرهم من خالفهم قيل وابن هم يا رسول الله قال ببيت المقدس انتهى وقال البرماوي مختار
ابن دقيق العيد وشرح العضد الى مذهب الحنابلة واشار ذلك امام الحرمين والبرهان
وكذا ابن برهان في الاوسط غير انه كلامهم يحتمل الحمل على عمارة الوجود بالعلما الاعلى
خصوص المجتهدين وقد قبل ان الاجتهاد المطلق فقد من زمن طويل قال الامام احمد
ليس من ائمة مذهبنا في اداب المفتي ومن زمن طويل عدم المجتهد المطلق مع انه الان ايسر منه
في الزمن الاول لان الحديث والفقه قد دونا وكذا كر ما يتعلق بالاجتهاد من الالات فكل
الهمم قاصرة والرغبات فاترة ونار الجد والاجتهاد خامدة وعين الخوف والخشية جامدة
الكتف بالتقليد واستغنى عن التعب الوكيد هربا من الاتقال وربا في تمشية الحال وبلوغ
الامال ولو بادنى قليل الاعمال وهو فرض كفاية قد اهملوه وسلوه ولم يعقلوه اليفعلوه انتهى وقال
الامام النووي في شرح المهذب فقد الاجتهاد المطلق الان ومنذ دهر طويل وقد اعترض
على ذلك الامام العلامة ابن مفلح بانه قد وجد الاجتهاد المطلق بعد ذلك في مثل شيخ
الاسلام بن تيمية انتهى وعلم ان المجتهد اما على اربعة اقسام مجتهد مطلق ومجتهد في مذهب
امامه ومجتهد في نوع من العلم ومجتهد في مسيلة منه او مسايل قال ابن حمدان فالمجتهد المطلق
هو الذي يستقل بادراك الاحكام الشرعية من الادلة الشرعية العامة والخاصة واحكام الحوادث
منها مع حفظه لاكثر الفقه ولا يشترط حفظه لفروع الفقه لانه فرع الاجتهاد ولا بد
من معرفته من الكتاب والسنة ما يتعلق بالاحكام وحقيقة ذلك ومجازه وامره ونهيه
ومجمله ومبينه ومحكمه ومتشابهه وخاصه وعامه ومطلقه ومقيده وناسخه ومنسوخه
والمستثنى والمستثنى منه وصحيح السنة وسقيمها ومتواترها واحادها ومرسلها ومسندها ومتصلها

وسنقطعها ويعرف الوفاق والخلاف في مسايل الاحكام الفقهيه في كل عصر ومصر والادلة
والشبه والفرق بينهما والقياس وشروطه وما يتعلق بذلك والعربية المتداولة بالحجاز
واليمن والشام والعراق وسن حولهم من العرب ولا يضر الجهل ببعض ذلك قلت ومن
رام ادراك هذا في هذه الازمنة فقد رام المحال والله تعالى اعلم قال الامام ابن القيم في
كتابه اعلام الموقعين ولا بد في اجتهاده لتقليده لغيره احيانا فلا يوجد احد من
الامة الا وهو مقلد من هو اعلم منه في بعض الاحكام وقد قال الشافعي في موضع من
الحجة فذكر مقلدا لغلط قال ابن القيم فهذا النوع هم الذين يسوغ لهم الافتاء ويتادى بهم
فرض الاجتهاد وهم الذين قال فيهم النبي صلى الله عليه وسلم ان الله يبعث لهذه الامة
على راس كل مائة سنة من يجدد لها دينها وهم غرس الله الذين لا يزال يغرسهم في
دينه وهم الذين قال فيهم علي بن ابي طالب رضي الله عنه لن تخلو الارض من قائم لله بحجة
اما ظاهرا مشهورا واما خائفا مغمورا لئلا تبطل حجج الله وبيناته انتهى واما المجتهد في مذهب امامه فله اربع حالات الاولى ان يكون عارفا بمذهبه وقرا كثرا
من اصوله وكتبه على اهله فوجده صوابا واولى من غيره واشد موافقة للدليل
والتعليل وقد ادعى هذه المرتبة ائمتنا القاضي ابو يعلى والقاضي ابن ابي موسى وغيرهم
ومن الشافعية جماعة ومن غيرهم قال في اعلام الموقعين وقد اختلفت الحنفية في
ابي يوسف ومحمد وزفر بن الهذيل والشافعية في المزني وابن سريج وابن المنذر ومحمد بن
نصر المروزي والمالكية في اشهب وابن عبد الحكم وابن القاسم وابن وهب والحنابلة في ابن
حامد والقاضي هل كان هؤلاء مستقلين بالاجتهاد او مقيدين بمذاهب ائمتهم على قولين
ثم قال ومن تامل احوال هؤلاء وفتاويهم واختياراتهم علم انهم لم يكونوا مقلدين لائمتهم
في كل ما قالوه وخالفوهم لهم اكثر من ان يذكر وان كان منهم المقل والمستكثر ورتبة هؤلاء
دون الائمة في الاستقلال الثانية ان يكون مجتهدا في مذهب امامه مستقلا بتقرير اصوله
والخامسة غير انه لا يتعدى اصوله وقواعده واقواله وموارده ويكون عارفا بادلته قائما
بتقريرها وتهذيبها وتحريرها وتقريبها وترتيبها قادرا على التخريج والاستنباط والالحاق فروعه باصوله
وشوارده

وشوارده بقواعده قال ابن القيم في اعلام الموقعين واذا وجد نص امامه لم يعدل
الى غيره البتة قال وهذا شان اكثر المصنفين في مذاهب ائمتهم وهو حال اكثر علماء
الطوايف قال ابن حمدان في اداب المفتي والمفتي وقيل ليس من شرطه معرفة هذا علم
الحديث واللغة والعربية لاتحاده منصوص امامه اصولا يستنبط منها الاحكام كنصوص الشارع وقد يرى حكما ذكره امامه بدليل فيكتفي بذلك من غير بحث
عن معارض لغيره وهو بعيد وهو شان اهل الاوجه والطرق في المذاهب قال
ابن القيم وهؤلاء لا يدعون الاجتهاد ولا يفرون بالتقليد وكثير منهم يقول اجتهدنا
في المذاهب فرايينا اقربها الى الكتاب والسنة فاخذنا به وكل منهم يقول ذلك عن امامه ويزعم
انه اولى بالاتباع من غيره قال ابن حمدان فمن عمل بفتياهذا فقد قلد امامه دون
الثالثة ان لا يبلغ رتبة اصحاب الوجوه والطرق غير انه فقيه النفس حافظ لمذهب
امامه عارف باداته واحكامه يتصرفه وتقريره وترجيحه وتحريره قال ابن حمدان وهذه
صفة كثير من المتاخرين الذين رتبوا المذاهب وحرروها وصنفوا فيها تصانيف بما يشتغل
الناس الان وفتاويهم مقبولة وربما تطرق بعضهم الى تخريج قول واستنباط وجه
او احتمال والله ولي الافضال الرابعة ان يقوم بحفظ المذهب ونقله وفهمه فهذا
يعتمد نقله وفتواه فيما يحكيه من منصوصات مذهبه من منصوصات امامه او تخريجات
اصحابه المجتهدين في مذهبه واما ما لا يجده منقولا في مذهبه فان وجد في المنقول
ما هذا في معناه بحيث يدرك من غير فضل فكر وتامل لم يجز له الافتاء بينهما كما في الائمة بالنسبة
الى العبد المنصوص عليه في اعتاق الشريك حاز له الحاق به والفتوى به وكذا ما يعلم
انه راجح تحت ضابط او منقول معتمد في المذهب وما لم يكن كذلك فعليه الامساك عن الفتيا
فيه ومثل هذا يكون نادرا في حق مثل الفقيه المذكور اذ يبعد ان تقع واقعة لم ينص على
حكمها في المذهب ولا هي في معنى بعض المنصوص عليه من غير فرق ولا مندرجة تحت شيء
من ضوابط المذهب المحررة فيه تراه هذا الفقيه لا يكون الا فقيه النفس لان تصوير المسايل على
وجهها وتنزيل احكامها لا يقوم به الا فقيه النفس والله الموفق واما المجتهد في نوع من العلم كمن عرف القياس

شبكة الألوكة
www.alukah.net

وشروطه قلة ان يفتى فى مسايل منه قياسية لاتتعلق بالحديث ومن عرف الفرايض
فله ان يفتى بها وهو ~~[illegible]~~ وان جهل احاديث النكاح وغيره وقد يجوز ذلك
فى الفرايض دون غيرها وقيل بالمنع فيهما وهو بعيد قاله ابن حمدان واما المجتهد فى مسايل
او فى مسيلة فليس له الفتوى فى غيرها وفيها فالاظهر جوازه كما قال ابن حمدان
ويحمل المنع لانه مظنة القصور والتقصير والله تعالى اعلم فايدة قال الامام
ابن القيم فى اعلام الموقعين ان الامام احمد رضى الله عنه قال لاينبغى للرجل ان ينصب
نفسه للفتيا حتى يكون فيه خمس خصال اولها ان تكون له نية فان لم تكن له نية
لم يكن عليه نور ولا على كلامه نور الثانية ان يكون له حلم ووقار وسكينة الثالثة
ان يكون قويا على ما هو فيه وعلى معرفته الرابعة الكفاية والامضغه الناس الخامسة
معرفة الناس انتهى فهذه دعايم الفتوى واسى شى نقص منها ظهر الخلل فى المفتى حسبه
فاما النية فهى راس الامر وعمودة واساسه واصله الذى عليه يبنى فانها روح
العمل وقايده وسايقه والعمل تابع لها يصح بصحتها ويفسد بفسادها وبها يستجلب
التوفيق وبعدمها يحصل الخذلان وبحسبها تتفاوت الدرجات فى الدنيا والاخرة
وقد جرت عادة الله التى لاتبدل وسنته التى لاتحول ان ليس المخلص من المهاية والنور
والمحبة فى قلوب العالم واقبالهم اليه ما هو بحسب اخلاصه ونيته ومعاملته لربه وليس
المرآئى اللابس ثوب الزور من المقت والمهانة والبغض ما هو اللايق به والعالم والوقار
والسكينة فصاحب العلم والفتيا احوج اليهما من كل شى فانها كسوة علمه وجماله واذا
فقدها كان علمه كالبدن العارى من اللباس قال بعض السلف ما قرن شى الى شى
احسن من علم الى حلم والناس هنا اربعة اقسام فخيارهم من جمع بين العلم والحلم وشرارهم
من عدمهما والثالث من اوتى علما بلا حلم والرابع عكسه فالحلم زينة العلم وبهاوه وضده
الطيش والعجلة واما كونه قويا على ما هو فيه وعلى معرفته اى ليكون مستظهرا منطلعا
بالعلم متمكنا منه غير ضعيف فيه فانه اذا كان ضعيفا قليل البضاعة غير متطلع به
احجم عن الحق فى موضع ينبغى فيه الاقدام لقلة علمه بمواضع الاقدام والاحجام فربما تقدم
فى غير

مطلب

فى غير موضعه وتجحم فى غير موضعه لعدم معرفته بالحق وقوته على تنقيده فالمفتى
محتاج الى قوة فى العلم وقوة فى التنقيد واما الكفاية والامضغته الناس فهى ايضا
من لوازم المفتى فانه اذا لم يكن له كفاية احتاج الى الناس والى الاخذ مما فى ايديهم
فلا يأكل منهم شيا الا اكلوا من لحمه وعرضه اضعافه فالعالم اذا منح غنى فقد اعين
على تنقيد علمه واذا احتاج الى الناس مان علمه او ضعف والله المستعان واما معرفة
الناس فهى اصل عظيم يحتاجها المفتى والحاكم فان لم يكن فقيها فى الامر والنهى تنبط احدهما
على الاخر والاكان ما يفسد اكثر مما يصلح فانه اذا لم يكن له معرفة بالناس تصور له الظالم بصورة
المظلوم وعكسه والمحق بصورة المبطل وعكسه وراج عليه المكر والخداع والاحتيال
وتصور له الزنديق فى صورة الصديق والكاذب فى صورة الصادق وليس كل مبطل
ثوبى زور تختمها الاثم والكذب والفجور وهو لجهله بالناس واحوالهم وعوايدهم وفنونهم
لايميز هذا من هذا بل ينبغى له ان يكون فقيها فى معرفة الناس وفقه اعمم واحتيالهم وعوايدهم
وعرفياتهم فان الفتوى تتغير بتغير الزمان والمكان والعوايد والاحوال وذلك كله من
دين الله كما نبه عليه فى اعلام الموقعين وبالله التوفيق ولنرجع الى ما نحن بصدده
من شرح كلام سيدنا الامام على كرم الله وجهه فنقول زاد بعض الكذابين مناعدى
الدين وحرب اصحاب رسول رب العالمين فى كلام امير المومنين على الصرغام المكبين بعد
قوله لاتخلو الارض من قايم لله بحجته اما ظاهرا مشهورا واما خفيا مستورا او
ظنوا ان ذلك دليل لهم على القول بالمنكر وهذه الزيادة من وضع بعض كذابيهم و
الحديث مشهور عن على رضى الله عنه لم يقل احد عنه هذه المقالة الا الكذاب او الجاهل
وحجج الله لاتقوم بخفى مستور لايقع العالم له على خبر مشهور ولا ينتفعون به فى علم
ماثور فلا جاهل منهم يتعلم ولا ضال يهتدى به ويتفهم ولا ايامن به خايف ولا يتعزز
به ذليل قلبه راجف فاى حجة لله فاطن بمن لا يرى له شخص ولا تسمع له كلمة ولا يعلم
له مكان ولا يسما على اصول القابلين به فان الذى دعاهم الى ذلك انهم قالوا لا بد منه
فى السلف بالملكين وانقطاع حجتهم عن الله فيا لله العجب اى لطف حصل بهذا

مطلب

تغير الفتوى

المعدوم لا المعصوم مع رواية حجة الله تتم الخلق على بعضهم باصلكم الباطل فان هذا المعدوم
اذا لم يكن لهم سبيل قطعا الى لقاءه والاقتداء به فهل في تكليفهم ما لا يطاق ابلغ من هذا
فالذي فر بنفسه منه وقعتم فيه وكتم فيه كما قيل المستجير بعمرو عند كربته كالمستجير من الرمضاء بالنار
ولكن ابى الله عز شانه الا ان يفضح من تنقص بالصحابة الاخيار وسادة هذه الامة
الابرار وان يرى الناس عورة من عاداهم ويقربه بكشفها ونعوذ بالله من
الخذلان وقالت الشيعة الامامية ان محمدا ابن القاسم الحجة هو الامام المنتظر يعني للهدى
وهو صاحب السرداب بسر من راى وكانت ولادته يوم الجمعة منتصف شعبان
سنة خمس وقيل ست او ثمان وخمسين ومايتين ولما توفي ابوه الحسن الخالص
كان عمره خمس سنين واسم امه حمط وقيل نرجس والراضة تزعم انه دخل السرداب
في دار ابيه وامه تنظر اليه فلم يعد يخرج اليها وذكر سنة خمس وستين ومايتين
او نحوها وعمره يومئذ تسع سنين او نحوها وهذا من خرافاتهم وكذبهم وافترائهم
واما ذكر فقد توفي رضي الله عنه وعن ابائه ولقد احسن من قال امان للسرداب ان يلد
الذي حملته مرة بن عمكم ما النافعي عفو لكم العفا فاكم ثلثم العنقا والغيلان فالحاصل
ان هؤلاء الضلال الجهال بهم على خير قرون الامة الباذلين نفوسهم النفيسة في مرضاة الله
ورسوله والشاهر بن سيوفهم لقمع المخالف للشريعة المطهرة اورثهم الله جل شانه من البلادة
تمامها ومن الضلالة طمامها ومن الغباوة جلها ومن الحماقة كلها فهم شر طوائف العالم ورذل
وارذل ومن ارذل فرق بني آدم فانك لو سالت اليهود عن خير ملتهم لقالوا اصحاب موسى
ولو سالت النصارى عن ذلك لقالوا حواريون عيسى وكذا سائر امم الانبياء واذا سالت هؤلاء
الطغام لقالوا بشر هذه الامة اصحاب محمد فهم من الدواب كالحمير ومن الطيور كالرخم
ومن الوحوش كالحمار بزومن الحشرات كالجعل فعليهم من الله ما يستحقون ولا حول ولا قوة
الا بالله العلي العظيم وقوله وطوان الله عليه الكيلا تبطل بحجج الله وبيناته اللام في الكيلا
للتعليل وكي حرف مصدري ونصب بمنزلة ان المصدرية ولا نافية اي لكيلا يذهب العلم
من بين يدي الناس وينهب من صدورهم والا فالبطلان محال على حجج الله وبيناته لانها ملزوم

ما يستحيل

ما يستحيل عليه البطلان فان قلت ما الفرق بين الحجج والبينات فالجواب الحجج هي الادلة العقلية
التي يعقلها القلب وتسمع بالاذن قال تعالى في مناظرة ابراهيم عليه الصلاة والتسليم
لقومه وتبيينه بطلان ما هم عليه بالدليل العقلي وتلك حجتنا اتيناها ابراهيم على
قومه نرفع درجات من نشاء قال ابن زيد بعلم الحجة وقال تعالى فان حاجوك فقل اسلمت
وجهي لله ومن اتبعني وقال تعالى والذين يحاجون في الله من بعد ما استجيب لهم حجتهم
داحضة عند ربهم والحجة اسم لما يحتج به من حق او باطل قال تعالى لئلا يكون للناس
عليكم حجة الا الذين ظلموا منهم فانهم يحتجون عليكم بحجة باطلة فلا تخشوهم واخشون
وقال تعالى واذا تتلى عليهم اياتنا بينات ما كان حجتهم الا ان قالوا ائتوا بابائنا ان كنتم
والحجة المضافة الى الله هي الحق وقد تكون الحجة بمعنى الخاصمة ومنه قوله فلذلك فادع
واستقم كما امرت ولا تتبع اهواءهم وقل آمنت بما انزل الله من كتاب وامرت لاعدل بينكم
الله ربنا وربكم لنا اعمالنا ولكم اعمالكم لا حجة بيننا وبينكم اي قد وضح الحق واستبان وظهر
فلا خصومة بيننا بعد ظهوره ولا مجادلة فان الجدال شرع بعثه من اجله للتعاون
على اظهار الحق والتوثيق به حقا فالجدال فيه بدعة في الخصومة والجدال على بصيرة خاصة
المنكر ومجادلته عنا لا عنا فيه والقرآن مملوء من الحجج والادلة والبراهين في مسايل
التوحيد واثبات الصانع جل شانه والمعاد وارسال الرسل وحدوث العالم فلا
يذكر المتكلمون وغيرهم دليلا صحيحا على ذلك الا وهو في القرآن باحسن عبارة واوضح بيان وقد اعترف بذلك حذاق المتكلمين من المتقدمين والمتاخرين قال
الغزالي في اول الاحياء اعلم ان حاصل ما يشتمل عليه الكلام من الادلة التي ينتفع بها
فالقرآن والاخبار مشتملة عليه وما خرج عنهما فهو اما مجادلة مذمومة وهي من
البدع واما نقل المقالات التي اكثرها هذيانات تزدريها الطباع وتمجها الاسماع و
بعضها خوض فيما لا يتعلق بالدين ولم يكن شيء منه مألوفا في العصر الاول ولكن تغير الان
حكمه لاحداث البدع الصارفة عن مقتضى القرآن والسنة فلفقت لها شبهات وزينت
لها كلمات مموهة فصار ذلك المحظور بحكم الضرورة مأذونا فيه انتهى وقال الرازي في كتابه

اقسام اللذات لقد تاملت الكتب الكلامية والمناهج الفلسفية فما رايتها تروى غليلا ولا تشفى
عليلا ورايت اقرب الطرق طريقة القران اقرا في الاثبات اليه يصعد الكلم الطيب الرحمن
على العرش استوى واقرا في النفي ليس كمثله شئ ومن جرب مثل تجربتي عرف مثل معرفتي
وقال قبل ذلك واما اللذات فثلاثة حسية كالاكل والشرب والنكاح واللباس وخيالية
وهمية كالرياسة والامر والنهي والترفع ونحوها وعقلية كلذة العلوم والمعارف وكلم
على كل واحد من هذه الاقسام الى ان قال واما اللذات العقلية فلا سبيل الى الوصول اليها
والتعلق بها لبدن فلهذا السبب نقول بانا بقينا على العدم الاول وليتنا ما شهرنا
هذا البدن ثم قال وفي هذا المعنى قلت نهاية اقدام العقول عقال
والكثير سعي العالمين ضلال وارواحنا في وحشة من جسومنا وحاصل دنيانا اذى ووبال
ولم نستفد من بحثنا طول عمرنا سوى ان جمعنا فيه قيل وقالوا وكم قد رايتنا من رجال ودولة
فبادوا جميعا مسرعين وزالوا وكم من جبال قد علت شرفاتها رجال فزالوا والجبال جبال
ثم قال واعلم اني بعد التوغل في هذه المضايق والتعمق في الاستكشاف عن اسرار هذه الحقايق
رايت الاصوب الاصلح في هذا الباب طريقة القران العظيم الخ وقال بعض المتكلمين افنيت عمري
في الكلام اطلب الدليل واذا انا لازيد الا بعدا عن الدليل فرجعت الى القران اتدبره واتفكر فيه
واذا انا بالدليل حقا معي وانا لا اشعر به فقلت والله ما هذا الا كما قال القايل وآخر ما لاقيت
من الم الهوى قرب الحبيب وما اليه وصول فكل ما يعين في البيداء يقتلها الظلماء والما
فوق ظهورها محمول قال فلما رجعت الى القران اذ هو كلام والدليل والية فيه من ادلة
الله وتجليه وبراهينه وبيانه ما لو جمع كل حق قاله المتكلمون وكشفهم لما انتهت سورة من
سور القران وافية بعضهوته مع حسن البيان وفصاحة اللفظ وتطبيق المفصل
وحسن الاحتراز والتنبيه على مواقع الشبه والارشاد الى جوابها واذا هو كما قيل كفى وشفى
ما في الفواد فلم يدع لذي ارب في القول جدا ولا هزلا قال وجعلت اجيء الى الكلام تفدا اليه
كانت قلوبا ذن لها القلب بالدخول فيه ولم تلق منه اقبالا ولا قبولا فترجع على ادبارها و
المقصود ان القران مملوء بالاحتجاج وفيه جميع انواع الادلة والاقيسة الصحيحة وقد امر الله جل

شانه

شانه رسوله باقامة الحجة والمجادلة فقال وجادلهم بالتي هي احسن وقال ولا تجادلوا اهل الكتاب
الا بالتي هي احسن والمقصود الفرق بين الحجج والبينات فالحجج الادلة العلمية والبينات
جمع بينة وهي صفة في الاصل يقال اية بينة وحجة بينة والبينة اسم لكل ما تبين الحق
من علامة منصوبة وامارة ودليل على قال تعالى لقد ارسلنا رسلنا بالبينات وانزلنا
معهم الكتاب والميزان فالبينات الايات التي اقامها الله دلالة على صدقهم من المعجزات
ومنه قول موسى لفرعون وقومه قد جيتكم ببينة من ربكم الاية فالقى عصاه وكان
القا العصى وانقلابها هو البينة وفي القاموس الحجة بالضم البرهان وكان بيانا اتضح
فهو بين والبينة بالكسر وفي حاشية الاقناع للمصري قال بان الامر وابان واستبان
كلها بمعنى الوضوح والانكشاف فظهر ان معنى الحجة البرهان والادلة العلمية والبينة
الوضوح والانكشاف والظاهر ان بينهما عموما وخصوصا من وجه يجتمعان فيما اذا كانت
غامضة فيقال لها حجة ولا يقال بينة وتنفرد البينة فيما اذا كانت واضحة منكشفة وليست
من الادلة العلمية والبرهان العلمي فيقال لها بينة ولا يقال لها حجة فتامل وقوله
رضي الله عنه او ليكن الاقلون عددا الاعظمون عند الله قدرا يعني ان هذا الصنف
من الناس وهو القايم بحجج الله تعالى وبيناته اقل الخلق عددا اي من جهة العدد
وهذا سبب غربتهم وانهم قليلون في الناس والناس على خلاف طريقتهم فلهم نبأ وللناس
نبأ قال النبي صلى الله عليه وسلم بدا الاسلام غريبا وسيعود غريبا كما بدا فطوبى للغرباء رواه
مسلم وضبط النووي بدأ بالهمز من الابتداء وترددا الرافعي فقال ان قرئ بغير همز يقال بدا
الشيء يبدو اي ظهر وقد يسبق للفهم بدايا لهمز لانه ذكر العود على الاثر وسمعت شيخنا
الشيخ عبد الغني النابلسي الدمشقي العارف سنة ثمانية وثلاثين في داره بصالحية
دمشق المحروسة يحكي ان جماعة من المحدثين اختلفوا في هذا الحديث فقال بعضهم لم يثبت
وقال بعضهم بلى قد ثبت وكان شيخ يرى النبي صلى الله عليه وسلم في المنام متى يشاء فذهبوا اليه
فصادفوا بعض خصائله من ذكروا له قضيتهم فقال انا اكفيكموها ذكر فقرا ورده
ونام فرأى النبي صلى الله عليه وسلم فقال له يا رسول الله اقلت بدا الاسلام غريبا وسيعود

شبكة الألوكة www.alukah.net

غريبا كما بدا الخ واسقط الهمز فقال ما قلته فلما كان من الغد بخبر الجماعة فاستظهر
الناقل لثبوته واصر المثبت وقال قم بنا الى نفس الشيخ فلما جاء الشيخ فصاله القصة
وجرى لهما مع تلميذه فقال في غد ان شاء الله اخبركم الخبر فلما قرا ورده ونام راى
النبي صلى الله عليه وسلم فقال له يا رسول الله صلى الله عليك اقلت بدأ الاسلام غريبا
الحديث واثبت الهمزة فقال نعم قد قلت ذلك فقال يا رسول الله قد اخبر فلان انك
قلت له ما قلته فقال قد قال لي يا بلى بهمز يعني خرج للبادية وانما قلته يا لهمز
فلما كان الغد اخبر الجماعة بالقصة فانفض الامر والله اعلم هكذا سمعته يقول اسامحه
الله تعالى وقدره ويا ليت اسانيد الصحيحة المتصلة الى سيدنا الامام احمد رضوان
الله عليه انه دخل عليه احمد بن يحيى المعروف بثعلب فقال ثعلب وكنت احب ان انظر الى
الامام احمد فلما دخلت عليه قال لي فيم تنظر فقلت في النحو والعربية فانشد لي احمد بن حنبل
أذا ما خلوت الدهر يوما فلا تقل خلوت ولكن قل علي رقيب ولا تحسبن الله يغفل ساعة
ولا ان ما يخفى عليه يغيب لهونا عن الايام حتى تتابعت ذنوب على اثارهن ذنوب
فيا ليت ان الله يغفر ما مضى ويأذن في توبا تنا فنتوب اذا ما مضى منا ثلاثون حجة
القرن الذي انت فيهم وخلفت في قرن فانت غريب فالمؤمنون قليل في الناس والعلماء
قليل في المؤمنين وهؤلاء قليل في العلماء وايم الله ان تعتبر بما اعتبر به الجاهلون فتقول
لو كان هؤلاء على الحق لم يكونوا اقل الناس عددا والناس على خلافهم فان هؤلاء هم الناس
وسواد الناس خلافهم ليسوا من الناس وانما هم متشبهون بهم فيما الناس الا اهل الحق وان كانوا
اقلهم عددا قال الشاعر تعبرنا انا قليل عديدنا فقلت لها ان الكرام قليل وما مرنا انا قليل
وجارنا عزيز وجارا لاكثرين ذليل وقد قال ابن مسعود رضي الله عنه لا يكن احدكم امعة
يعني يقول انا مع الناس ليوطن احدكم نفسه على ان يومن ولو كفر الناس وقد ذم سبحانه
الاكثرين في غير موضع كقوله جل ثناؤه وان تطع اكثر من في الارض يضلوك عن سبيل الله
وقال وما اكثر الناس ولو حرصت بمومنين وقال وقليل من عبادي الشكور وقال وان
كثيرا من الخلطاء ليبغي بعضهم على بعض الا الذين امنوا وعملوا الصالحات وقليل ما هم وفي الحديث الاكثرون
اموالا هم الاخسرون يوم القيمة الامن قال هكذا وهكذا وهكذا وقليل ما هم والحاصل

ثعلب

ان اهل الاستقامة قليلون جدا ويرشد لهذا حديث افتراق الامة الى ثلاث وسبعين
فرقة وان كلها في النار الا فرقة واحدة وهم ان شاء الله تعالى اهل الحديث فانهم عصابة
الحق والطايفة الناجية وهم ورثة الانبيا والقايمون باعبا السنة الغرا فلم يقدموا
حالا ولا قالا الا على كلام الله ورسوله بل يقولون حيث قال الله ورسوله ويسكتون حيث
سكتا ولذا قال بعض العارفين ان اردت الدليل في طريق طلبك دليلا على صدق القلب ولذا
قيل منذ بدا الهوى والافاطر واطرق الحى والعيون نواظر لا تخف وعثة الطريق
بدسر وكل في خفارة الحق ساير وقوله رضي الله عنه بهم يدفع الله عن حجه حتى يودوها
الى نظرايهم ويزرعوها في قلوب اشباههم اي بهؤلا الايمة الموصوفين بالصفات
المتقدمة الذين هم اقل الناس عددا واعظمهم عند الله قدرا واكثر ايدفع الله بهم عن حججه
ويدود ويدفع عن حجج جل شانه جمع حجة وتقدم بيانها حتى حرفا غاية ان الان
يودوها اي يعلموها ويلقنوها الى نظرايهم من اخوانهم الطالبين واعوانهم المسترشدين
واخذايهم المستبصرين ليقوموا بها كما قام بها الاولون ويحوطوها كما حاطها الراسخون
ويعلموها كما علمها الربانيون والنظرا جمع نظير المثل وفي حديث ابن مسعود رضي الله
الله عنه لقد عرفت النظاير التي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقوم بها عشرين
سورة من المفصل قال في النهاية النظاير جمع نظيرة وهي المثل والشبيه والاشكال
والاخلاق والافعال والاقوال اراد اشتباه بعضها ببعض في الطول والنظير
المثل وفي كل شي انتهى وفي قوله رضي الله عنه ويزرعوها في قلوب اشباههم استعارة
بالكناية شبه قلوب النظرا بالارض وشبه الحق بالبذر وذكر الزرع ترشيح لانه مما
يلايم المشبه به والشبه والمثل متقاربات معنى وهذا لان الله سبحانه وتعالى ضمن
حفظ حجه وبيناته واخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم انه لا تزال طايفة من امته
على الحق لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم الى قيام الساعة فلا يزال الغرس الله الذي غرسهم
في دينه يغرسون الله في قلوب من الهمهم الله لذلك وارتضاهم لان يكونوا ورثة علمه كما كانوا

الفرقة الناجية

والنظير

هرورة اللهم لا ينقطع حج الله ولقا بربها من الارض وفي الاثر المشهور لا يزال الله
يعزس في هذا الدين عزيزا يستعملهم بطاعته وكان من دعا بعض من تقدم اللهم اجعلني من
عزس الذين باستعملتهم بطاعتك ولهذا ما اقام الله لهذا الدين من يحفظه ثم قبضه اليه
الا وقد زرع ما علمه من العلم والحكمة امانا في قلوب امثاله وما في كتب ينتفع بها الناس من
بعده وهذا وغيره فضل العلماء على العباد وفاق العالم اذا زرع علمه عند غيره ثم مات جرى
عليه اجره وبقوله ذكره وهو عمر ثان وحياة اخرى وذلك حقا ما ينبغي فيه المتنافسون
ويرغب فيه الراغبون وبذل عظم اجرهم وارتفع قدرهم فانهم ملوك الملوك والواسطة
بينه الله جل ثناؤه وبين خلقه وكم رفع العلم لما ليك الى مجالس الملوك وفي الصحيحين
من حديث الزهري عن ابن الطفيل ان نافع بن عبد الحارث لقي عمر بن الخطاب رضي الله عنه
بعسفان وكان عمر استعمله على اهل مكة فقال له عمر من استخلفت على اهل الوادي فقال
استخلفت عليهم ابن ابزى فقال ومن ابن ابزى فقال من موالينا فقال عمر استخلفت عليهم
مولى فقال انه قارئ لكتاب الله عز وجل عالم بالفرايض فقال عمر اما ان نبيكم صلى الله عليه
وسلم قد قال ان الله يرفع بهذا الكتاب اقواما ويضع به اخرين وقال ابو العالية كنت
ابن عباس رضي الله عنهما وهو على سريره وحوله قريش فيأخذ بيدي فيجلسني معه
على السرير فتغامز بي قريش فقطن لهم ابن عباس رضي الله عنه فقال كذا هذا العلم يزيد
الشريف شرفا ويجلس المملوك على الاسرة وقال ابراهيم الحربي كان عطا ابن ابي رباح
عبدا اسود لامرأة من اهل مكة ولكنه انفه كانه باقلاء قال وجا سليمان بن عبد الملك
امير المومنين الى عطا هو وابناه فجلسوا اليه وهو يصلي فلما صلى انفتل اليهم فقالوا
يسالونه عن مناسك الحج وقد حول قفاه اليهم شزقال سليمان لابنيه قوما فقاما فقال
يا بني لانتيا في طلب العلم فاني لا انسى لنا بين يدي هذا العبد الاسود قال الحربي
وكان محمد بن عبد الرحمن الاوقص عنقه داخل في بدنه وكان منكباه خارجين كانهما
زجان فقال له امه يا بني لا تكون في قوم الا كنت المضحوك منه المسخور به فعليك
بطلب العلم فانه يرفعك وولي قضاء مكة عشرين سنة قال وكان الخصم اذا جلس بين يديه برعد حتى
يقوم

يقيء قال ومر به امراته وهو يقول اللهم اعتق رقبتي من النار فقالت له يا ابن اخي اردقبة
لك وقال يحيى بن اكثم قال الرشيد ما ابيل المراتب قلت ما انت فيه قال افتعرف اجل مني قلت
لا قال لكني اعرفه رجل في حلقه يقول ثنا فلان عن فلان عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال قلت يا امير المومنين اهذا خير منك وانت ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم
وولي عهد المسلمين قال نعم ويلك هذا خير مني لان اسمه مقترن باسم رسول الله صلى الله عليه
وسلم لا يموت ابدا ونحن نموت ونفنى والعلم باقون ما بقي الدهر وفي مفتاح دار السعادة قال
ابن بنى معاوية رضي الله عنه بالابطح مجلسا فجلس عليه ومعه ابنه قرظة فاذا هم بجماعة على رحال لهم
واذا شابهم قد رفع عقيرته يتغنى من يساجلني يساجل ماجدا يملا الدلو الى عقد الكرب
قال من هذا قالوا عبد الله بن جعفر قال خلوا له الطريق ثم اذا هو بجماعة فيهم غلام يتغنى
بينما يذكرني ابصر مني عند قيد الميل يسعى بي الاغره قال تعرفون الفتى قالوا نعم قد عرفناه وهل
يخفى القمر قال من هذا قال عمر بن ابي ربيعة قال خلوا له الطريق فليذهب قال ثم اذا هو
بجماعة واذا فيهم رجل يسال فقال رميت قبل ان احلق وحلقت قبل ان ارمي وفي انيا اشكلت عليهم
من مناسك الحج فقال من هذا قالوا عبد الله بن عمر فالتفت الى ابنه قرظة فقال هذا وابيك الشرف
هذا والله شرف الدنيا والاخرة والله الموفق وكفى بالعلم شرفا وبتقدم العلماء علوا كونهم قاعدين بحج
الله ووساطة بين الله وخلقه وقد قال سفيان بن عيينة رضي الله عنه ارفع الناس منزلة
عند الله من كان بين الله وبين عباده وهم الانبيا والعلما وتقدم ما العلة يشفي ويكفي وقوله
رضي الله عنه لحج بهم العلم على حقيقة الامر فيما تلوا مما استوعره المترفون وانسوا ما استوحش
منه الجاهلون الهجوم على الرجل الدخول عليه بلا استيذان قال في القاموس هجم عليه هجوما دخل اليه
بغتة او دخل بغير اذن وقال ادخله كاهجمه فهو هجوم فيكون المعنى دخل بهم العلم على حقيقة الامر
وهو روحه والمقصود منه والحقيقة ايضا خلاف المجاز والامر الحادثة وجمعه امور
وضد النهي والمراد هنا حقيقة الشيء الثابت في نفس الامر بغير من معلوم لله تعالى وفي
خبر ان حارثة رضي الله عنه قال اصبحت مومنا حقا فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان لكل حق حقيقة فما حقيقة ايمانك قال عزفت نفسي عن الدنيا وشهواتها فاسهرت ليلي واظمات

شبكة الألوكة
www.alukah.net

نهارى وكان ينظر الى عرشى رى بارزا وكان ينظر الى اهل الجنة يتزاورون فيها والى اهل النار يتعاوون
فيها فقال النبى صلى الله عليه وسلم عرفت فالزم عبد نور الله الايمان فى قلبه وهذا الحديث روى
مرسلا وروى مسندا متصلا قال الحافظ ابن رجب فى استنشاق نسيم الانس من رياض
القدس روى من وجوه ضعيفة ولما كانت الطريق الاخرة وعرة على اكثر الخلق لمخالفتها
لشهواتهم ومبايينتها لارادتهم ومالوفاتهم قل سالكوها وزهد فيها قلة علمهم او عدمه
بحقيقة الامر وعاقبة العباد ومصيرهم وما هيو الدوها هي لهم فاستمالوا مراكب الشهوة
والهوى على مراكب الاخلاص والتقوى وتوعرت عليهم الطرق وبعدت الشقة وصعب عليهم
مرتقى عقابها وهبوط اوديتها وسلوك شعابها فاخلدوا الى الارض والراحة وآثروا العاجل
على الاجل وقالوا عيشنا اليوم نقد وموعدنا نسيئة ويوم مفقود خير من ايام مفقودة
فنظروا الى عاجل الدنيا واغمضوا العيون عن اجلها ووقفوا مع ظاهرها ولم يتأملوا باطنها
وذاقوا حلاوة مباديها وغاب عنهم مرارة عواقبها ودرلهم تدبيها فاصابهم الارتضاع و
اشتغلوا به عن الفكر فى الانقطاع وقال مغترهم بادئه وحامدهم
لعظمته وربوبيته متمثلا فى ذلك خذ ما تراه ودع شيأ سمعت به فى طلعة الشمس
البدر يغنيك عن زحل واما القاعدون لله بحجته خلق نبيه فانتشقوا نسيم الانس
وفوته نفذ بهم الى حقيقة الامر وهجم بهم عليه فعاينوا بابصارهم ما عشت عنه بصائر
الجاهلين فاطمانت قلوبهم به وعملوا على الوصول اليه لما باشرها من روح اليقين رفع
لهم علم السعادة فشمروا اليه واسمعهم منادى الايمان الندا فاستبقوا اليه واستيقنت
انفسهم ما وعدهم به ربهم فزهدوا فيما سواه ورغبوا فيما لديه علموا ان الدار دار ممر لا دار مقر
ومنزل عبور لا مقعد حبور وانها خيال طيف او سحابة صيف وان من فيها كراكب قال
تحت ظل شجرة ثم راح وتركها وعلموا انها احلام نوم او كظل زايل ان اللبيب بمثلها لا يخدع
فهى كما قال فيها الواصف لها اراى اشقيا الناس لا يبيعونها على انهم فيها عراة وجوعا الا
وان كانت تحب فانها سحابة صيف تقشع عن قليل تقشع فترحلت عن قلوبهم مدبرة كما
ترحلت عن اهلها مولية واقبلت الاخرة الى قلوبهم مسرعة كما اسرعت الى الخلق مقبلة فاستطوا

ظهور العزائم

منقوده

ظهور العزائم وهجروا لذة المنام ومالوا المتجب بتيمم علموا طول الطريق وقلة المقام فى
منزل التزود فشمروا فى الجهاز وجدوا السير الى منازل الاحباب فقطعوا المراحل وطووا
المفاوز ومن بادر فقد فاز وهذا كله من ثمرات اليقين فان القلب اذا استيقن ما امامه
من كرامة الله وما اعده للاولياء من وراء حجاب الدنيا وعلم انه اذا زال الحجاب راى
ذلك عيانا نزلت عنه الوحشة التى يجدها المتخلفون وبادر الى هنا لك تصديقا
وايمانا ومعنى قوله فاستانوا ما استوحش المتروحون اى وجدوه لينا يقال لا يلين
لينا بالفتح وتلين فهو لين كميت وميت او المخفف فى المدح خاصة وجمعه ليون
والهنا وليه والبنه والبان كسحاب مرخا العينى واستلانه رآه او وجده لينا قاموس
والوعر ضد السهل وجمعه اوعر ووعور واوعار ووعد وعر المكان ككرم ووعد وعرا
ووعر الحزن ووعرته توعيرا جعلته وعرا وتوعر صار وعرا واستوعر واطرد بفتحهم
راوه وعرا كوعروه ووعر الامر تعسر وفى الكلام تحير كما فى القاموس والمترفون جمع
مترف المكرم المتروك يصنع ما شاء والمتنعم يمتنع من شىء والجبار فالمى القاموس وترف
تنعم واسترف تغير وطغى وقوله واسوا مما استوحش منه الجاهلون قال الجوهرى قاموس
الانس بالضم وبالتحريك والانسة محركة ضد الوحشة وقد انس به مثلث النون وانسه
ضد اوحشه والشىء ابصره كانسه تانيسا فيهما وايناسا بين ذهب توحشه وقوله
مما ارى من السير الى الله والاستذاذ بالنصب فى مجاهدة النفس فى طاعته والانفراد
بالانقياد الى اوامره والانتهاء عن زواجره وهذا هو الذى استوحش منه الجاهلون
اى داوه وحشا يقال استوحش الرجل وجد الوحشة وهى الهم والخلوة والخوف ورجل
وحشان مغتم واوحش المنزل صار وحشا وذهب عنه الناس كتوحش كما فى القاموس وفى
النهاية الوحشة ضد الانس والوحشة الخلوة والهم واوحش المكان اذا صار وحشا
وكذلك توحش وقلما توحشت الرجل فاستوحشت وفى حديث عبد الله انه كان يمشى مع
رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الارض وحشا اى وحده ليس معه غيره ولا يخفى ما فى كلامه
رضى الله عنه من المقابلة بين اللين والوعر والانس والوحشة فهو لا الائمة الذين هجم بهم العلم الى

ماوراء الحجاب فشاهدوا بصائرهم الاشياء على ما هي عليه حتى استلانوا ما استوعره المتعمقون واسهوا
بالشيء الذي استوحش منه الجاهلون هم الناس المعمول عليهم والائمة المنظور اليهم وهذه المرتبة
هو اول مرتبة اليقين وهي علمه وتيقنه وهي انكشاف المعلوم للقلب بحيث يشاهده ولا
يشك فيه كانكشاف المرئي للبصر بعد ليها المرتبة الثانية وهي مرتبة عين اليقين ونسبتها
الى العين كنسبة الاولى للقلب ثم تليها المرتبة الثالثة وهي حق اليقين وهي مباشرة المعلوم
وادراكه الادراك التام فالاولى العلم الذي هو هذا الوادي ما والثانية كمرو بتها والثالثة
كالشرب منه ومن هذا قول سيدنا الامام علي رضي الله عنه لو كشف الغطاء ما ازددت يقينا و
خبر حارثة وقد قال صلى الله عليه وسلم لكل شيء حقيقة فما حقيقة قوله هو
فهوم العلم بصاحبه على حقيقة الامر وما وصل الى هذا استعذب التعذيب واستانس الوحشة
والتغريب واستلان الوعر واستحلا المنوع من لم يثبت قدم ايمانه الى هذه الدرجة فهو
ايمان ضعيف وعلامة هذا انشراح الصدر لمنازل الايمان وطمانينة القلب لامر الديان والانابة
الى دار الخلود والتجافي عن دار الغرور كما في الاثر المشهور
اذا دخل النور القلب انفسح وانشرح قيل وما علامة ذلك قال التجافي عن دار الغرور والانابة
الى دار الخلود والاستعداد للموت قبل نزوله وهذه هي الحال التي كانت تحصل للصحابة
رضي الله عنهم اذا ذكرهم الجنة والنار كما في الترمذي وغيره من حديث الجريري عن ابي
عثمان النهدي عن حنظلة الاسدي وكان من كتاب النبي صلى الله عليه وسلم انه مر
بابي بكر رضي الله عنه وهو يبكي فقال ما يبكيك يا حنظلة فقال نافق حنظلة
يا ابا بكر نكون عند رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكرنا الجنة والنار كانا نراهما رأي العين
فاذا رجعنا الى الازواج والضيعة نسينا كثيرا فقال فوالله انا لكذلك فانطلق بنا الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم فانطلقنا فلما رآه رسول الله قال ما لك يا حنظلة قال نافق حنظلة
يا رسول الله نكون عندك تذكرنا بالنار والجنة كانا نراهما رأي عين فاذا رجعنا عافسنا الازواج
والضيعة ونسينا كثيرا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو تدومون على ما تكونون
بها عندي لصافحتكم الملائكة في مجالسكم وفي طرقكم وعلى فرشكم ولكن يا حنظلة ساعة وساعة

قال

قال الترمذي حديث حسن صحيح ورواه ايضا نحوه عن ابي هريرة قلت ورواه مسلم في
صحيحه بلفظ انه قال يا رسول الله نافق حنظلة قال وما ذاك قال يكون عندك تذكرنا
الجنة والنار كانهما رأي العين فاذا رجعنا من عندك عافسنا الازواج والضيعة
ونسينا كثيرا فقال لو تدومون على الحال الذي تقومون به من عندي لصافحتكم الملائكة وعلى
وفي الطرق ولكن يا حنظلة ساعة وساعة وفي رواية له ايضا لو كانت تكون قلوبكم كما تكون
عند الذكر لصافحتكم الملائكة حتى تسلم عليكم في الطرق قوله في الحديث عافسنا الازواج والضيعة
قال في النهاية المعافسة المعالجة والممارسة والملاعبة ومنه خبر امير المؤمنين علي رضي
الله عنه كنت اعافس واعارس وخبره الآخر يمنع من العفاس حوف الموت وذكر البعث
والحساب وضيعة الرجل ما يكون منه معاشه كالصنعة والتجارة والزراعة ونحو ذلك
والمقصود انه ينبغي للقلب على حقيقة الايمان ويلين له مما يستوعره غيره ويوسنه
مما استوحش منه سواه العلم التام والحب الخالص والحب تبع للعلم يقوى بقوته ويضعف
بضعفه والحب لا يستوعر طريقا يوصله الى محبوبه ولا يستوحش منها ولذا قال ذو النون
ان من علامة المحبين لله الا يانسوا بسواه ولا يستوحشوا معه وكانت رابعة تكثر انما
تنشد هذين البيتين ولقد جعلتك في الفؤاد محدثي وابحت جسمي من اراد جلوسي فالجسم
مني للجليس مؤانس وحبيب قلبي في الفؤاد انيسي وقوله رضوان الله عليه صحبوا الدنيا
بابدان ارواحها معلقة بالملا الاعلى وفي رواية بالمحل الاعلى صحبوا من المصاحبة وهي
المعاشرة قال في القاموس صحبه كسمعه صحابة ويكسر وصحبة عاشره واستصحبه دعاه
الى الصحبة ولازمه والقوم اصطحبوا المحب بعضهم بعضا والدنيا نقيض الاخرة قال القاضي
عياض في مشارق الانوار الدنيا اسم لهذه الحياة لدنوها من اهلها وبعد الاخرة عنها
اذ لم تجئ بعد وسميت الدنيا لقربها من سكنى الارض انتهى وقال بعض العارفين الدنيا ما دنى
من القلب فشغل عن الرب وهذا صريح في انها ماخوذة من الدنو وهو القرب وقيل ماخوذة
من الدناءة يقال رجل دني ساقط وعلى كل حال فالدنيا دار من لا دار له قال تعالى انما مثل الحياة الدنيا
كماء انزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض ~~مما يأكل الناس~~ فاصبح هشيما تذروه الرياح وما يأكل الناس والانعام

وقال واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء انزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض فاصبح هشيما تذروه
الرياح وكان الله على كل شئ مقتدرا المال والبنون زينة الحياة الدنيا والباقيات الصالحات
خير عند ربك ثوابا وخير املا الآية وقال وما هذه الحياة الدنيا الا لهو ولعب وقال ارضيتم
بالحياة الدنيا من الآخرة فما متاع الحياة الدنيا في الآخرة الا قليل والمتاع ما يتمتع به صاحبه
برهة ثم ينقطع ويفنى فما عيبت الدنيا بأكثر مما ذكرنا ونقلها احوالها وقد دل على
نقصانها وزوالها وتبديل صفاتها بالسفر ووجودها بالعدم وشيبتها بالهرم وصحتها
بالسقم وحياتها بمفارقة الاجسام للنفوس وعمارتها بالخراب واجتماعها بفرقة الاحباب
وكلما فوق التراب تراب وكان سيدنا الامام احمد رضي الله عنه يقول يا دار تخربين ويحك
سكانك وفي الحديث تجهيا لمن رأى الدنيا وسرعة تقلبها يا هلها كيف يطمئن اليها والابدان
جمع بدن هي الاجساد ما سوى الراس والمراد هنا الجسم كله يقال بدن الرجل اذا عظم بدنه
وفي حديث عايشة فلما بدن يعني النبي صلى الله عليه وسلم وروي بدّن بتشديد الدال المهملة مفتوحة
وانكر ابن دريد وغيره واحد هن الدال لان معناه عظم بطنه وكش لحمه قالوا ولم تكن هذه صفته
صلى الله عليه وسلم قال الجواب والصواب بدّن اي اسن او ثقل من السن وفي حديث عايشة ما يصحي اذا
الرابية بين وذكر قولها فالسن واخذ اللحم فجمعت بين السن واخذ اللحم وروي عنها فلما كبر وبدن اذا
كبر وفي حديث اخر وكان معتدل الخلق وبدن آخر زمانه صلى الله عليه وسلم وفي وصف علي اياه
صلى الله عليه وسلم بادن متماسك اي عظيم البدن مشتثن غير مترهل اللحم ولا اخوار البنية كما
في مشارق الانوار والارواح جمع روح واضافتها الى الابدان لملابستها وكونها محلا لها وقد
اختلف العلماء قديما وحديثا في حقيقة الارواح على اقوال عديدة اصحها ان الروح جسم
يخالف بالماهية لهذا الجسم المحسوس وهو جسم نوراني علوي خفيف حي متحرك ينفذ في جوهر
الاعضاء ويسري فيها سريان الماء في الورد والزيت في الزيتون والنار في الفحم فما دامت هذه الاعضاء
صالحة لقبول الآثار الفايضة عليها بتوسط ذلك الجسم اللطيف مشابكا لهذه الاعضاء وافادها هذه
الآثار من الحس والحركة الارادية واذا فسدت هذه الاعضاء بسبب استيلاء الاخلاط الغليظة عليها
ومزجت عن قبول تلك الآثار فارق الروح البدن وانفصل الى عالم الارواح قال الامام ابن القيم في كتاب

الروح

الارواح

الروح وهذا القول هو الصواب وهو الذي لا يصح غيره وكل الاقوال سواه باطلة وعليه دل الكتاب
والسنة واجماع الصحابة ودلالة العقل وذكر له مايه وستة عشر دليلا وقد امسك بعض
الناس عن الخوض في امر الروح لقوله تعالى ويسلونك عن الروح قل الروح من امر ربي واعلم ان الروح
من عالم الامر مخلوقة لله جل شانه ليست بقديمة كما يزعم بعض فرق الضلال وهل المسؤول عنها
في الآية الروح التي في بدن الانسان او هو ملك فيه خلاف مشهور قال الامام ابن القيم والروح واكثر
السلف بل كلهم على ان الروح المسؤول عنها في الآية ليست ارواح بني آدم بل هو الروح الذي اخبر الله
عنه في كتابه انه يقوم يوم القيمة مع الملايكة وهو ملك عظيم ومعنى تعلق ارواح هولاء بالملا الاعلى
انها ابدا ناية قة ومتشوقة ومشرفة الى الملا او المحل الاعلى قال في النهاية الملا اشراف الناس ورؤساهم
وهؤلاء هم الذين يرجع الى اقوالهم وحمعه املا وصنه الحديث انه صلى الله عليه وسلم سمع رجلا منهم فهم
من غزوة بدر يقول ما قتلنا الا عجايز صلعا فقال او لئك الملا من قريش لو حضرت فعالهم لاحتقرت
فعلك اي اشراف قريش وفي الحديث هل تدري فيم يختصم الملا الاعلى يريد الملايكة المقربين انتهى
وقال الامام الحافظ ابن رجب في كتابه اختيار الاولى في شرح حديث اختصام الملا الاعلى
بعد ان ذكر الحديث وطرقه وفيه دلالة على ان الملا الاعلى وهم الملايكة او المقربون منهم يختصمون
فيما بينهم ويتراجعون القول في الاعمال التي تقرب بني آدم الى الله عز وجل وتكون لها عند حضاهم
انتهى والمراد بالمحل الاعلى في الرواية الثانية محل نزول الرحمة او الجنة او مشاهدة الحق جل شانه او ما هو اعم
من ذلك وانما كانت الارواح مستشرفة ومتعلقة بذلك لانها في هذا الجسد في دار غربة ولها وطن
غيره فلا تستقر الا في وطنها ولما كان الروح جوهرا علويا مخلوقا من مادة علوية وقد اضطرت
الى مساكنة هذا البدن الكثيف كان لها تمام التشوق والتعلق الى محلها الاول فلا تزال تطلب
وطنها الاعلى وتحن اليه حنين الطير الى وكارها وكل روح فيها ذلك ولكن لغرض اشتغالها بالبدن
وما لها من المحسوسات وعكوفها على الملذوذات اخلدت الى الارض ونسيت وطنها الذي لا راحة لها في غيره
اذ لا راحة للمؤمن دون لقاء ربه والدنيا سجن حقا فلهذا تجد المؤمن مهما بدنه في الدنيا وروحه في محل
المحل الاعلى وفي الحديث المرفوع اذا نام العبد وهو ساجد باهى الله به الملايكة فيقول انظروا الى عبدي
بدنه في الدنيا وروحه عندي رواه تمام وغيره وهذا معنى قول بعض السلف القلوب جوالة فقلب يجول حول

الحشى وقلب يطوف مع الملائكة حول العرش فأعظم عذاب الروح انقطاعها وتدسيسها في أعماق
البدن واشتغالها بعلائقه وانقطاعها عن ملاحظة ما خلقت وهيئت له وعن وطنها ومحل أنسها
ومنزل أكرامها وتكن سكر الشهوات يحجبها عن مطالعة هذه الآلام والعذاب فإذا صحت من سكرها
اقبلت على جيوش الحيرات من كل جانب فحينئذ تتقطع حسرات على ما فات من كرامة الله و
قربه والتنعم بالمشاهدة والانس به كما قيل ضحيت اذ غبي عليها غشاوة فذا الجلت تمزق
قطعت نفسي لومها ولو استقلت الارواح في المواطن كلها لم تطمئن الا في وطنها ولو حملت كما قيل
تثقل فوادك حيث شئت من الهوى ما الحب الا للحبيب الاول كم منزل في الارض يألفه الفتى
وحنينه أبدا الى الموطن الاول ومنزل وإذا كانت الروح تحن الى وطنها وتشتاق الى مقطنها من هذه الدار
المشحونة بالحن والاكدار مع قيام غيره مقامه في السكنى وكثيرا ما يكون غير وطنها اطيب منه
وانسى فكيف بحنينها الى الوطن الذي فيه قرة عينها وفي سواه عذابها وبينها وحسرتها وشينها
فالعبد في هذه الدار سمي قد سبى من الجنة دار القرار الى دار التعب والبوار فكيف لا يحن
قلبه ويرق وهو قد ضرب عليه الرق أفيلام على طول تحنينه وترنمه وتنبيه شوقا الى داره
التي سبي منها وظعن لا باختياره عنها وفرق بينه وبين حبه وجمع بينه وبين حربه فروحه
دائما معلقة بذلك الوطن وبدنه في هذه الدنيا منتصبا بالاحزان والشجن ولله در الامام المحقق
ابن القيم حيث اشار الى هذا المقام بقوله فحي على جنات عدن فانها منازل الاولى وفيها المخيم
ولكننا سبي العدو فهل نرى نعود الى اوطاننا ونسلم وقد عوى الذئب العدا فينا فحي
وشطت بها اوطانه فهو مغرب بارض اغتراب فوق غربتنا التي لها اضحت العدا فينا تحكم
وقد قيل فيما تداوله اللسان حب الوطن من الايمان قال جلال الدين السيوطي في الدرر المنتثرة في الاحاديث
المشتهرة بعد ايراده لم اقف عليه وكذا قال السخاوي في المقاصد الحسنة الا انه قال ومعناه صحيح وقد نص
في ذلك اذ لا ملازمة بين الايمان وحب الوطن وفي القرآن ولو انا كتبنا عليهم ان اقتلوا انفسكم او اخرجوا
من دياركم ما فعلوه الا قليل فان الآية دالة على ان حبهم وطنهم مع عدم ايمانهم اذ ضمير عليهم للمنافقين
قلت لو صح الخبر حمل على ان المراد بالوطن الجنة دار المقر فانها الوطن الحقيقي اذ هي المحل الاول المفتقر
وفيها فضل الارب والوطر والى اشارة الامام ابن القيم وقوله وحي على جنات عدن فانها منازل الاولى

فعلى

فعلى كل حال معنى هذا المقال صحيح بل حال وبما كان المؤمن غريبا في هذه الدار اين حل منها فهو دار
غربة لا دار قرار فقال النبي المختار عليه الصلاة والسلام ما تعاقب الليل والنهار يخاطب
ابن عمر وبعثم كل سبيل كن في الدنيا كأنك غريب او عابر سبيل هذا مع انها غربة تنقضي وتصير
الى وطنه ومقامه ومسكنه فما بالك بالغربة التي لا يرجى انقطاعها والفرقة التي لا يتوقع
ارتجاعها فهي غربة في دار الهوان ومفارقة الوطن الذي كان قرة عين له ومباينة الغوان
والاخدان والمقام الذي امرنا بالتجهيز اليه والقدوم عليه فأنى لا الا تحزن وان ومفارقة
الاحباب فتلك غربة لا يرجى ايابها ولا يجبر مصابها ولا يبادر الى الكون البدن في
الدنيا والروح في الملأ الاعلى فللبدن شأن والروح شأن بينهما من البون كما بين الجماد والحيوان
وهذا النبي صلى الله عليه وسلم كان بين اظهر اصحابه وهو عند ربه يطعمه ويسقيه فبدنه
بينهم وروحه وقلبه عند ربه وقال ابو الدرداء اذا نام العبد عرج بروحه الى تحت العرش فان كان
طاهرا اذن لها بالسجود وان لم يكن طاهرا لم يؤذن لها بالسجود قال الامام المحقق ابن
القيم في مفتاح دار السعادة بعد ذكره خبر ابي الدرداء فهذا هو احد اعلم اهل العلائق التي امر
الجنب لاجلها ان يتوضأ اذا اراد النوم وهذا الصعود انما كان لتجرد الروح عن البدن بالنوم
فاذا تجرد فلسببها اخر حصل لها من الرقي والصعود بحسب ذلك التجرد وقد يقوى الحب
بالمحب حتى لا يشاهد منه بين الناس الا جسمه وروحه في موضع اخر عند محبوبه وفي
هذا من اشعار الناس وحكاياتهم ما هو معروف وما احسن قول بعض العارفين والله
ما طلعت شمس ولا غربت الا وانت حديثي بين جلاسي ولا هممت بشرب الماء من عطش الا رأيت خيالك
في الكاس وقال بعضهم اعميت عيني عن الدنيا وزينتها فانت والروح مني غير مفترق اذا
ذكرتك وافى مقلتي ارق من اول الليل حتى مطلع الفلق وما طابقت الاجفان عن سنة الا رأيتك
بين الجفن والحدق ارحم حشا شقت نفس فيك فرقتك قيل الفراق فهذا اخر الرمق ولو مضى
الكل منك لم يكن عجبا وانما عجبي في البعض كيف بقي واعلم ان هؤلاء الابرار والائمة الاخيار
لما نظروا بعين البصيرة الى مدة هذه الدنيا الدنيه القصيرة وراوها كظل زائل او ضيف راحل
او سحاب خلب او سراب بقيعة يتلون وينقلب ونظروا الى تقاسة ايام العمر وغلا انفاس

شبكة الألوكة
www.alukah.net

البشر وعلموا ان الدنيا لا تعدل جناح بعوضة ولا تساوى بقلة منبوذة مدحوضة شمروا
عن ساق الجد والاجتهاد وتزهدوا التقسم عن التخطى بقاذورات هذه الدار التى لا تعادل
كفاس رماد ونصبوا فى طلب دار لا يفنى نعيمها ولا تبلى ثيابها ولا تنهدم قصورها ولا
تعدم ولدانها وحورها ولا يزول نعيمها ولا يسقم سليمها وتحققوا ان الخلود فى هذه
الدار هو الجنة والقعود عن تلك الديار من الخرق وما احسن قول ابن المعتز فى ابياته
نبوه بعض ما ذكرنا حيث قال

الم تر ان الدهر يوما فى غرور وغفلة ... وكر هكذا يوم الى غير يقظة

لقد ضاع عمر ليس منه مشترى ... بملء السما والارض ابدا صيحة تشفى هذا ونحوه

ان الله ان تعدل جناح بعوضة ... ويرضى من العيش السعيد بقيته مع الملا الاعلى بعيش البهيمة

فيا درة بيع الغبى وجوهرة ... يبعث يا بخس فيه اقل بيا فى شتريه سفاهة ... وسخطا برضوان
وبارا بجنة الى ان يقولا لقد بعتها حزنى عليك رخيصة ... وكانت بهذا مثل خير حقيقة فويك
يستقل لا تنقضها همة من الخلق ان كنت ابى امر كريمة ... وقال الامام الموفق فى وصيته
رضى الله عنه اعلم ان مدة حياتك محدودة وانفاسك معدودة فكل نفس ينقص يعجزو
منك والعمر كله قصير والباقى منه هو اليسير وكل جزء منه جوهرة نفيسة لا تعدل
لها والا خلف منها فاذا تهبهذه الحياة اليسيرة خلود الابد فى النعيم والعذاب الاليم
واذا عدلت هذه الحياة بخلود الابد علمت ان كل نفس يعدل الكثير من الوف الوف الف
عام فى نعيم لا خطر له او خلافى ذلك وما كان هكذا فلا قيمة له فلا تضيع جواهر عمرك
النفيسة بغير عمل ولا تذهبها بغير عوض واجتهد ان لا يخلو نفس من انفاسك الا فى
عمل صالح او قربة يتقرب بها فانك لو كانت معك جوهرة من جواهر الدنيا ليسال ذهابها
فكيف تفرط فى ساعاتك واوقاتك وكيف لا تحزن على عمرك الذاهب بغير عوض قال رضى الله
عنه وانى قد خطر لى اذا شئت هذه الدنيا واهلها كمثل سفينة القتهم الريح الى جزيرة فى البحر فيها
معادن الجواهر كلها من الياقوت والزمرد والزبرجد والبلور والمرجان والدر واللولو وما دون ذلك
الى العقيق والفيروزج بعد ذلك لؤلؤ وحجارة لا قيمة لها وفيها انهار وبساتين وفى الجزيرة رجل
للملك قد جعل له حدودا وجاعلا عليه حارسا فيه خزائن الملك قلما وولدان فنزل اهل سفينة
فى الجزيرة

فى الجزيرة وقيل لهم انما مقامكم بها يوم وليلة فاغتنموا مدة مقامكم فى تلك الجزيرة فيما امكنكم من اخذ هذه
الجواهر الكثيرة فاما الحازمون فاسرعوا الى تلك الجواهر من يستقون منها ويحملونه الى مخازنهم
فى السفينة ويجدون ويجتهدون فاذا تعبوا تركوا وقد ربحوا تلك الجواهر التى يحصلونها كثيرة
فيتمتعون وقليل مقامهم فى تلك الجزيرة وانهم عن قليل يرحلون منها فلا يقدرون على الازدياد فرضوا
الراحة والدعة واقبلوا على الجد والاجتهاد وانتهز لهم النوم ادركوا وادلكوا فذهب عنهم لذة
النوم والكرى وتمثلوا عند الصباح بجد القوم السرى واما آخرون فاخذوا من الجواهر شيئا
واستراحوا فى اوقات الراحة وناموا وقت النوم واما طبقة اخرى فلم يعبئوا بالجواهر
اصلا واثروا النوم والراحة وتشاغلوا باللذات والتفرج ومنهم قوم اقبلوا على جمع
الزلق والشقق وقوم اقبلوا على اللعب والتنزهات وتشاغلوا بالذات وسماع الغناء
والمطربات وقالوا ذرة مفقودة خير من ذرة موجودة والفرقة الثالثة عدلوا الى
حمى الملك فطافوا به فلم يجدوا له بابا ففتحوا لهم فيه بابا وافتحموه ففتحوا خزائن
الملك وكسروا ابوابها وانتهكوا منها وعبثوا بجوارى الملك والولدان وقالوا ليس لنا
دار غير هذه الدار فاقاموا على ذلك حتى ذهبت مدة المقام وضرب الرحيل ونودى
بالتحويل فالحث والتعجيل فاما الذين حصلوا الجواهر فرحلوا مغتبطين يبضايعهم اياسون
على المقام الا لازدياد مما كانوا فيه واما الفرقة الثانية فحزنوا وحزنوا وندموا ولات حين
ندم ينفع ولا جزع يسمع واما الفرقة الثالثة فكانوا اشد حزنا واعظم مصيبة وقيل لهم لا تزعم
حتى نحمل لكم ما اخرجتم من خزائن الملك فى اعلاكم وعلى ظهورهم فما زالوا يحملون على هذه الصفة حتى وردوا
مدينة الملك العظيم فنودى فى المدينة انه قدم قوم كانوا فى معادن الجواهر فتلقاهم اهل المدينة
وتلقاهم الملك وجنوده فاستنزلوهم وقيل لهم اعرضوا بضايعكم على الملك فاما اهل الجواهر فعرضت
بضايعهم فحمدهم الملك وقال انتم خاصتى واهل مجالسى ومحبتى ولكم ما شئتم من كرامتى وجعل لهم
ملوكا لهم ما شاءوا وان يسئلوا اعطوا وان شفعوا شفعوا وان اردوا اشياء لهم قالوا ونقل لهم خذوا
ما شئتم واحتكموا ما اردتم فاخذوا القصور والدور والحور والبساتين والقرى والرساتيق
واكبوا المراكب وسارت بين ايديهم وحولهم الولدان والخدم وصاروا ملوكا يتنزلون فى جوار الملك ومجالسونه

وينظرون اليه ويزورونه ماسألوه اعطاهم وان لم يسألوه ابتدأهم واما الفرقة الثانية فقيل لهم
ابن بضاعتكم فقالوا اما لنا بضاعة قيل ومحلكم قالوا نحن في معادن الجواهر اما كنتم انتم وهؤلاء الذين
صاروا ملوكا في موضع واحد قالوا بلى ولكنا اثرنا الدعة والنوم وقال بعضهم شغلنا بيننا
الدور والمساكن وقال آخرون اشتغلنا بجمع الزلف والشغف فقيل لهم بئسما كم ما علمتم قلة
مقامكم وتفاسة الجواهر التي عندكم اما علمتم ان ذلك ليست بدار مقام ولا محل منام اما
يقظكم الايقاظ اوما وعظكم الوعاظ قالوا بلى والله قد علمنا فبئس ما علمنا واوقظنا فشاومنا
وسمعنا فصامنا فقيل نبئكم آخر الدهر فعضوا ايديهم ندما وبكوا على التفريط بعد
الدموع دما وبقوا اسفين متحيرين ووقفوا منتظرين ان يتصدق عليهم بعض الذين
صاروا ملوكا بشفاعة او يتكلم لهم عند الملك بكلمة واما الفرقة الثالثة فجاؤا يحملون
اوزارهم على ظهورهم بائسين مبلسين خيارى سكارى قد زلت بهم القدم وحل بهم الندم
ونزل بهم الالم واقتضحوا عند الاصم فابعدهم الملك عن داره وطردهم من جواره وامر بهم
الى السجن فجروا اليه قد ايقنوا بالعذاب وحل امرهم عن العتاب فان يصبروا فالنار مثوى
لهم وان يستعتبوا فما هم من المعتبين قال رضي الله عنه فانظر رحمك الله ما بين المنزلتين
وما حصل من الفرق بين الفريقين بالصبر في تلك المدة اليسيرة التي اقاموها في الجزيرة
رحمك الله ان تكون من الفرقة الاولى الذين استوعبوا الساعات بالطاعات ولم يفرطوا في شئ
من الاوقات والزم قلبك الفكر في نعم الله لتشكرها وفي ذنوبك لتستغفرها وفي تفريطك للتندم
وفي حفظه وقائمك لتسلم وروى الامام الحافظ ناصر السنة ابو الفرج ابن الجوزي في تبصرته بسنده
ان معاوية رضي الله عنه قال للضرار بن ضمرة صف لي عليا كرم الله وجهه فقال اوتعفيني يا امير
المؤمنين قال بل تصفه لي قال اوتعفيني قال لا اعفيك قال اما اذ لا بد فانه والله كان بعيد المدى
شديد القوى يقول فصلا ويحكم عدلا ينفجر العلم من جوانبه وتنطق الحكمة من نواحيه يستوحش
من الدنيا وزهرتها ويستانس بالليل وظلمته وكان والله غزير الدمعة طويل الفكرة يقلب كفه و
يخاطب نفسه يعجبه من اللباس ما خشن ومن الطعام ما جشب كان والله كاحدنا يجيبنا

اذا سألناه

اذا سألناه ويبتدينا اذا ابتدأناه ويأتينا اذا دعوناه ونحن والله مع تقريبه لنا وقربه
منا لا نكلمه هيبة ولا نبتديه لعظمته فان تبسم فعن مثل اللؤلؤ المنظوم يعظم
اهل الدين ويحب المساكين لا يطمع القوي في باطله ولا ييأس الضعيف من عدله فانا نشهد
بالله ان رأيته في بعض مواقفه وقد ارخى الليل سجوفه وغارت نجومه وقد
مثل في محرابه قابضا على لحيته يتململ تململ السليم يعني القريح ويبكي بكاء الحزين فكأني
اسمعه وهو يقول يا دنيا يا دنيا اليّ تعرضت ام لي تشوقت هيهات غري غيري
قد بتتك ثلاثا لا رجعة لي فيك فعمرك قصير وعيشك حقير وخطرك كبير آه من قلة الزاد
وبعد السفر ووحشة الطريق قال فذرفت دموع معاوية فما يملكها وهو يمسحها بكمه
وقد اختنق القوم بالبكاء ثم قال معاوية رحم الله ابا الحسن كان والله كذلك فكيف حزنك
عليه يا ضرار قال حزن من ذبح ولدها في حجرها فلا ترقى عبرتها فلا تسكن حسرتها فهذه
الصفات هي بعينها صفات الذين هجم بهم العلم على حقيقة الامر حتى انهم صحبوا الدنيا بابدان
ارواحها معلقة في المحل الاعلى فيحزن رضي الله عنه عالم هذه الامة وضرغامها ويحلي دعاء الظلم
المدلهمة وعلامها وفي بعض الفاظه حلالها يعني الدنيا حساب فحرامها عذاب ثم نشد على
رضي الله عنه كما في تسهيل السبيل لمحمد غرس الدين الخليلي ادنيا تحببي ادعني كاني لست اعرفها
مدت الي يمينها فرددتها وشمالها فذممت الا لحرامها وذممتها وانا الجنيت حلالها وعرفتها عذارة
فتركت جملتها لها وكذا قال سيدنا الامام احمد رضي الله عنه ان عليا كرم الله وجهه مازاله الخافة
ولكن ظهر انها اهوس بتاء وايمان محققة كما مر شرح ذمه هنا سبقه وكفاه ان كنت وصحابي تسمع مناقبه
فاسمع مناقبه من اهلها بني ولي وقد كان رضي الله عنه كما قال فيه ابن الجوزي طيب الله ثراه
خليقا بالسيادة ان نظرت الى علمه فقد احتاج اليه السادة وان نظرت في زهده فالاولياء والاوتاد
وحاجة الملك عند ولاده وضياعه في كفاءة البلاد وهو في المهد واحكمه التجريب كهلا ويافعا
يتقلد من شاء مجدا في مجده كما رضي الله عنه يشبه الفهر الزاهر والبحر الزاخر والاسد الخادر
والربيع الباكر كما يظن في الكرم بخراف بحسب لفظ الحسن سحرا اذا انشأ فصلا راينه
يقول فصلا واذا اصل اصلا لم يستطع احد مثلا اصلا وفي الفرق المؤدي بالمرء في

شبكة الألوكة
www.alukah.net

الفرق بين العجم والعرب لشيخنا العارف الحلوتي السيد مصطفى البكري ما نصه وما ارسله
الامام الاعظم والليث الغالب الاعظم الى سهل بن حنيف وهو اذ ذاك بالبصرة يامر بتاديبه
لها بلغني ان رجالة قضاعة البصرة دعاك الى مادبة فاسرعت وكررت عليك جفانا تشريدها
فاكرعت واكلت اكل نهم وصبغ قرص وما خلت طعام قوم عايلهم مجفو ومنعم
مدعو ولعلك تناولت في ذلك حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم لو دعيت الى كراع
لاجبت ولو اهدي الي ذراع لقبلت هيهات هيهات انها هنالك ويل لعرب من شر
حلم وبعد من علمه فاحذران تكون بهذه الدنيا شحيطا وفي لجة غمراتها شورطا
وعلى عباد الله بظلمها تسلطا واعلم ان امامك قد اكتفى من دنياه بطمريه وسد
فورة جوعه بقرصيه ولا يطمع الفلذة في حوليه الا وسنه اضحيه ولن تقدر واعلى
ذلك دون بلوغ اجتهاد والله ما اكثرت من دنياكم تبرا ولا ادخرت في اقطارها
شهرا وما افتات منها الا كتون اتاني به وله فهي في عيني اهون من حفصة البيك عين دنيا
فجد على عارك فقد بتركت ثلاثا لا رجعة فيها والسلام اوصيك الاقاليم
السبعة وما تحت افلاكها واسترق لي سكانها وقطانها على ان اعصي الله في نملة اسلبها
شعيرة من قشرها ما فعلت وما فعلت ولدنياكم هذه عندي من ورقة في جراد تقضمها
وامر على فؤادي من عظلة يلوكها ذو سقم فيبسقها فكيف اقبل محجونة كانها عجنت
بريق حية او قيئها والله لقد سمعت اناسا يقولون اذا كان قوت على هذا فقد اقعدنا عن مبارزة
الاقران وهنا جزء الشجعان ومزاولة الفرسان والله ما قلعت باب خيبر ولا رميت
به اربعين ذراعا بقوة جسدانية ولا بحركة غذائية ولكني ايدت بقوة ملكوتية ونفس
بنور ربها مضيئة وانا من احمد كالضوء من الضوء ولقد رقعت مدرعتي هذه حتى استحييت
من راقعها فقال لي القها فذي الاتقى لا ترضيها لبراذعها ولقد جاءني عقيل يشكو رغب
زمانه يستمحني صاعا من بركم وصاعا من شعيركم فاحميت حديدة ثم اصفيتها الى
بدنه فكانما انيني الدنف لها من قلت فلما تكل امكنت من حديدة اجمالها انسان لمدية فخرى
الى النار بحرها الجبار لغضبه فعند الصباح يحمد القوم السرى وتنجلي عنهم غيابات الكرى
والله

والله لو شئت لسرلت الدمقس النقي من دبابيجكم ولاكلت لباب البر بصدور دجاجكم
ولشربت زلال الماء بارق زجاجكم ابيت مبطانا وحولي بطون قد غرثى اذايخصني في الذي
دهم من ذكر اواسى قال الله تعالى تلك الدار الاخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في
الارض ولا فسادا والعاقبة للمتقين والحمد لله ظاهرا وباطنا والصلاة والسلام على
محمد واله وصحبه اجمعين انتهى فانظر رحمك الله ما اقل قيمة الدنيا في عينه واحقرها
وما اعظم علومه رضي الله عنه واغزرها وفي كتاب المثل السائر قال بعض الحكماء وجدت
مثل الانسان المغرور بالدنيا المملوءة افاعي مثل رجل اتى بيتا يخوف الى بئر ترد فيها وتغلق
بغصن نابت على شفير البئر ووقعت رجلاه على شيء عمدها عليه فنظر فاذا بحيات
اربع قد طلعن رؤسهن من جحر تحتي ونظر اسفل البئر فاذا ثعبان فاغر فاه نحوه
فرفع بصره الى الغصن الذي تعلق به واذا في اصله جرذان ابيض واسود يقرضان
الغصن دائبين فبينما هو في ذلك مغتما بنفسه وابتغا الحيلة في نجاتها ذ نظر فاذا
بجانب البئر من نحل قد صنع شيئا من عسل فتطعم منه فوجد حلاوته فاشتغل عن التفكر
في امره والتماس النجاة لنفسه ولم يذكر رجليه فوق اربع حيات لا بد من ان يساورنه
احداهن وان الجرذين دائبين في قرض الغصن الذي تعلق به وانهما اذا قطعاه وقع
في لهوات التنين فلم يزل لاهيا عما هو فيه حتى هلك قال الحكيم فشبهت الدنيا المملوءة افاعي
وشرورا ومخاوف بالبئر وشبهت الحياة الاربع بالاخلاط الاربع التي بني جسد الانسان
عليها من المرتين والبلغم والدم وشبهت الغصن الذي تعلق به بالحياة وشبهت
الجرذين الابيض والاسود الذين يقرضان الغصن دائبين لا يفتران بالليل والنهار
ودورانهما في افنا الايام والاجال وشبهت الثعبان الفاغر فاه بالموت الذي لا بد
منه وشبهت العسلة التي تطعمها وشغلت قلبه بها عن الحالة القليلة التي يرى
الانسان وسمع ويطعم ويلتمس فيلهيه ذلك عن عاقبة امره وما اليه مصيره فانظر رحمك
الله لهذا المثال واعتبر فيه ولا تغتر بهذه الدنيا فان بقاءها زوال وفي وجودها عدم
وابك على الغرور الذي تزور الغيور والله ولي الامور وقوله رضي الله عليه اوكيل خلفا الله

شبكة الألوكة
www.alukah.net

في ارضه ودعائه الى دينه اولا اسم اشارة في محل رفع مبتدا وهو لجمع المذكر والمؤنث قران
للشار اليه اما ان يكون بعيدا او قريبا فان كان بعيدا وجب اقترانه بالكاف والمشهور
مد ذلك فقال تعالى اولئك هم المفلحون وتسوغ تهم يقولون اولاء بالقصر ويمتنع دخول اللام على لغة
المد فلا تقول اولالك والكاف قريبا جي باسم الاشارة مجردا عن الكاف وحوبا وخلفا
خبر المبتدا وهو جمع خليفة قال في القاموس والخليفة السلطان الاعظم الخليفي وجمعه
خلايف وخلفاء وخلائف لمان خليفة لمان بعده يقال خلفه فلان اذا جاء بعده
واصله خليف بمعنى فاعل لانها فعيل بمعنى فاعل كما يعلم والتقدير فدخلت التا
للمبالغة للوصف بها كراوية وعلامة ولهذا جمع جمع فعيل فقيل خلائف كشريف وشرائف
ومن راعى لفظه بعد دخول التا عليه جمعه على فعايل فقال خلايف كعفيلة وعقايل وهما
جا القران هذا قول جماعة من النحاة وصوب ابن القيم ان التا انما دخلت في هذه اللفظة
للعدل عن الوصف الى الاسم فان الكلمة صفة في الاصل ثم اجريت مجرى الاسماء فالحقت التا
لذلك كما قالوا بطيخة بالتا فاذا اجروها صفة قالوا بطيخ وكما يقال كف خضيب والاصل
معنى للمبالغة في خليفة تلحقها التا المبالغة وقد تنازع العلما في هذه المسئلة فمنهم من جوز
اطلاق نحو قولهم خليفة الله في ارضه وهذا الاثر شاهد له واحتج اصحاب هذا القول
ايضا بقوله تعالى للملائكة اني جاعل في الارض خليفة وقوله وهو الذي جعلكم خلايف الارض
وهذا خطاب لنوع الانسان وبقوله تعالى امن يجيب المضطر اذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم
خلفاء الارض وبقوله حكاية عن موسى عليه السلام عسى ربكم ان يهلك عدوكم ويستخلفكم في الارض
وستخلفكم فيها فناظر كيف تعملون فاتقوا الدنيا واتقوا النسا واحتجوا ايضا بقول الراعي يخاطب
سيدنا ابا بكر رضي الله عنه اخليفة الراعي انا معشر حفاة عجاة عيالنا عرب نرى
لله في اموالنا حق الزكاة منزلا تنزيلا ومنع اخرون هذا الاطلاق فلا يقال لاحد خليفة
الله لان الخليفة انما يكون ممن يغيب ويخلفه غيره والله تعالى شاهد غير غايب قريب
غير بعيد يرى ويسمع فمعنى ان يخلفه غيره بل هو سبحانه الذي يخلف عبده المؤمن
فيكون خليفة كما قال النبي صلى الله عليه وسلم في حديث الدجال ان يخرج وانا حيكم فانا حجيجه
دونكم

دونكم وان يخرج ولست فيكم فكل امرئ حجيج نفسه والله خليفتي على كل مؤمن والحديث في الصحيح وفي صحيح
مسلم ايضا عن ابن عمر رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم امر من يقول اذا سافر اللهم انت
الصاحب في السفر والخليفة في الاهل وفي الحديث انه صلى الله عليه وسلم قال اللهم اغفر لابي سلمة
وارفع درجته في المهديين واخلفه في اهله في الغابرين الحديث فالله تعالى هو
خليفة العبد لان العبد يموت فيحتاج الى من يخلفه في اهله قالوا ولهذا انكر الصديق
رضي الله عنه على من قال له يا خليفة الله قال لست بخليفة الله ولكني خليفة رسول الله
وحسبي ذلك واجابوا عن قوله تعالى وهو الذي جعلكم خلايف ان جاعل في الارض خليفة
بان المراد به ادم وذريته وهو انما جعله خليفة ممن كان قبله في الارض كما نص عليه جمهور المفسرين
من السلف والخلف والذين كانوا قبله اما الجن الذين كانوا سكان الارض او الملايكة الذين سكنوها
بعد الجن وقصتهم مذكورة في التفاسير واما قوله تعالى وهو الذي جعلكم خلايف الارض فليس
المراد خلايف عن الله وانما المراد به انه جعلكم يخلف بعضكم بعضا فكلما هلك قرن خلفه قرن
الى اخر الدهر ثم قيل ان هذا خطاب الامة محمد صلى الله عليه وسلم خاصة اي جعلكم خلايف من الامم
الماضية فهلكوا وورثتم انتم الارض من بعدهم والاريب ان هذا الخطاب للامة والمراد
نوع الانسان الذي جعل الله اباهم خليفة عمن قبله وجعل ذريته يخلف بعضهم بعضا
اليوم الفينة ولهذا جعل الله تعالى هذا اية من اياته كقوله تعالى امن يجيب المضطر اذا دعاه
ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الارض وكذا قول موسى خلفا من بعدهم فاوردتهم اصفهم وبالجملة
واما قول الشاعر للصديق رضي الله عنه فقد قال قصيدة في غيبته رضي الله عنه والاجدر
ابلغ ابا بكر رضي الله عنه ام لاولو بلغنه فلا يعد اقرأ على هذه اللفظة ام لا واختيار الامام
التقي طيب الله ثراه وغيره ممن قبله فهذا الاجتماع فيه الاضافة وحقيقتها خليفة
الله الذي جعله خلفا عن غيره وبهذا يخرج الجواب عن امير المؤمنين ويعسوب
المتقين في قول بعض العلما الراسخين والعلما الربانيين اولئك خلفا الله في ارضه
فان قيل هذا الامدح فيه عند كل نبيه الانعام في اعداد الامة فخلافة الله التي ذكرها
سيدنا امير المؤمنين خاصة بخواص الايمة فالجواب ان الاختصاص المذكور استفدناه

من الاضافة للعزيز الغفور فالاضافة هنا للتشريف والتخصيص والتقريب والتنصيص على ان المضاف اليه عباده وزاد بهم خواص اهل الايمان كقوله تعالى ان عبادي ليس لك عليهم سلطان وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض هونا ونظائر ذلك في القرآن ومعلوم ان كل الخلق عباد الله خلقا الارض كلها لعبادي في قوله والله بصير بالعباد وقوله تعالى يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر وارادة الله في قوله ان عبادي ليس لك عليهم سلطان وعلى كل حال فلهم في ذلك تمام البشرى على الرتبة وارتفاع الدرجة لانهم بين الله وبين عباده وبعد درجة النبوة ومنصب العلماء حشرنا الله تعالى في زمرتهم والعلماء في لفظة خليفة الله من جهة اضافتها الى الله لا سيما الصورة به كلام لا ينبغي السكوت على ذكر شيء منه والحاصل ان العلماء اما ان يراد انهم خلفاء الله في الارض بمعنى ما ذكرنا من انهم بقية الله خلفاء وانه جعلهم خلفاء غيرهم من ائمة الدين والعلماء الربانيين او يراد خلفاء وبمعنى انهم خلفوه بحسب العيان في تحليل الحلال وتحريم الحرام واقامة الحجج والبرهان فانهم هم الذين يكشفون للناس عن الاحكام الشبه والالتباس ويرشدون العوام ويعلمون الطغام ويدعون الى الله والى اتباع السنة رسول الله ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويأمرون بالرفق والاحسان والعطف والامتنان والرأفة والرحمة ورفع العسف والشفقة ويأمرون بمكارم الاخلاق وتوحيد الله وادامة الذكر واجالة الفكر والصبر على الطاعة والجماعة والجماعة فهم قائمون بأعباء الشريعة المطهرة وبيان الاحكام المحررة فكذا كانوا بهذه المثابة فلهم في الشريعة خلافة ونيابة والعلماء خلفاء رسول الله من غير شك وفي اوسط الطبراني عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم ارحم خلفائي قلنا يا رسول الله من خلفاؤك قال الذين يأتون من بعدي يروون احاديثي ويعلمونها الناس وقوله رضي الله عنه ودعاته الى دينه الدعاة جمع داع والنبي صلى الله عليه وسلم داعي الله ويطلق على المؤذن لانه يدعو الى الصلاة التي هي اكد اركان الاسلام بعد الشهادتين وانما كان العلماء دعاة الى الله الى دينه لانهم ابدا يحثون الناس على امتثال اوامر الله وينهون عن مناهيه ويحببونه الى خلقه ويذكرونهم نعمه وفضله ما اسدى اليهم من سوابغها ويرشدونهم الى ما فيه الدين من الحكم ويطلعونهم على نوابغها قال القاضي عياض في مشارق الانوار عند حديث من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين فاستجيب لمن يسأل ان يعطيه فرقا بعضهم بان الداعي والسائل

والسائل قال الدماميني المضطر لقوله تعالى امن يجيب المضطر اذا دعاه والسائل المختار فللسائل المثوبة وللداعي الاجابة ثم قال في قوله صلى الله عليه وسلم من ترك دينا او ضيعة فادعوني فانا وليه قيل معناه استعينوا في امره واصل الدعاء الاستغاثة ومنه قوله تعالى وادعوا شهداءكم اي استغيثوهم لتشهدهم فالعلماء لشدة شفقتهم على الخلق وعظم معرفتهم بعظمة الحق يستغيثون ويستغوثون ويدعون الناس الى اجابة كلمة الله والعكوف على طاعته والامتثال لامره والانتهاء عن نهيه وزجره او القيام بحقوق العبودية والانقياد لمعرفة الربوبية فاذا نظروا العظمة لله خضعوا واطاعوا وامتثلوا وخشعوا الان قلوبهم مملوءة من جلاله وارواحهم متشبعة بجماله واذا نظروا في احوال العباد وتعريضهم في جنب الله وتضييعهم لحقوقه وعدم اكتراثهم بامر دينهم وشدة تهاونهم في امر دنياهم رحموهم وادركتهم شفقة الاخوة مع عظم اشفاقهم لجلال الله وعظم بطشه وشدة انتقامه فيستغيثون بها المفرطون ارجعوا بها الغافلون انتبهوا بها الناعسون هبوا فالامر شديد والملك مجيد وانتم ضعفاء الاطاقة كلكم على الا لام والله عزيز ذو انتقام والدين في اللغة الجزاء ومنه كما تدين تدان وبين الجماعة ولا يسع سوى العدوان دناهم كما دانوا اي الطاعة والانقياد ومنه دان فلان لفلان اذا اطاعه وامتثل لامره ونهيه وفي العرف وضع الهي يسوق ذوي العقول المحمودة باختيارها الى ما هو خير لها بالذات وفي الحديث قال النبي صلى الله عليه وسلم علي بن قومه اي على ما بقي فيهم من آثار ابراهيم واسماعيل عليهما الصلاة والسلام في قومهم وصناديدهم وبقية عقلائهم واساليبهم وقال النووجيري فانهم لما فقدوا نبوة النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن الا علماءهم كذا في القاموس قلت وقد قال سيدنا الامام احمد رضي الله عنه مثل قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما ذبح علي بن قومه فهو قول سوء اليس كما ان ابا كامل ذبح على الذنب اي الاصنام وقال الامام ابن عقيل رضي الله عنه قد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم متد بنا قبل مبعثه ونزول الوحي عليه بما يصح عند الله من شريعة ابراهيم عليه السلام وفي شرح البخاري للقسطلاني لم يأت التصريح بصفة تعبده يعني قبل البعثة فيحتمل ان عائشة

شبكة الألوكة
www.alukah.net

تعبده عليه السلام قبل البعثة

رضي الله عنها اطلاق الخلوة بمجردها تعبدا اي في قولها وكان يخلو بغار حرا فيتحنث فيه
الليالي ذوات العدد قال فان الانعزال عن الناس لا سيما من كان على باطل عادة وقيل
كان يتعبد انتهى وقد علمت ان الله كان يتعبد بقايا دين ابويه ابراهيم واسماعيل عليهما الصلاة
والسلام قال الامام الحافظ ابن الجوزي قدس الله سره وجه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
من زهده الشهي بعض الاصنام والا يلتفت اليها وكان اهله يسألونه ان يخرج معهم الى اعيادهم
فلا يفعل ولا يقربها منها ويعيبها وذكر عن ابن عباس حديثا شاهد الهذا وفي الجملة فانه
كان على بقايا من دين ابراهيم عليه الصلاة والسلام وقد كان زيد بن عمرو بن نفيل ممن تبعد
ملة ابراهيم فانه قد اعتزل ما تعبد قريش من الاوثان وكل الميسر والدم والذبائح التي
تذبح على الاصنام ونهى عن الموؤدة وقال اعبد رب ابراهيم وبادى قومه بعيب ما هم عليه
قالت اسماء بنت ابي بكر رضي الله عنهما لقد رايت زيد بن عمرو بن نفيل شيخا كبيرا مسندا ظهره
الى الكعبة وهو يقول يا معشر قريش والذي نفسي زيد بيده ما اصبح منكم احد على دين
ابراهيم غيري ثم يقول اللهم لو اني اعلم اي الوجوه احب اليك عبدتك به ولكني لا اعلم ثم يسجد
على راحلته قال ابن اسحاق وحدثت ان ابنه سعيد بن زيد وعمر بن الخطاب وهو ابن
عمه قالا لرسول الله صلى الله عليه وسلم استغفر لزيد بن عمرو قال نعم فانه يبعث امة وحده
وقال زيد بن عمرو بن نفيل في فراق دين قومه وما كانوا يعبدون من ذلك اربا واحدا
ام الف رب اذا تقسمت الامور عزلت اللات والعزى جميعا كذلك يفعل الجلد الصبور
فلا عزى ادين ولا ابنتيها ولا صنمي بني عمرو اروره ولا اغما ذا دين وكان ربه لنا في الدهر اذ حلمي سبيل
مجيب وفي الليالي محبابها وفي الايام يعرفها البصير بان الله قد افنى رجالا كثيرا كانوا شانهم الفجور
ولكن اعبد الرحمن ربي ليغفر ذنبي الرب الغفور فتقوى الله ربكم احفظوها ما متى ما تحفظوها لا تزل
تزاد ولا تزال تجاه ولكفار حامية سعير وخزي في الحياة وان يموتوا بلا قوا ما تقبئ به الصدور
قال ابن اسحاق وكان الخطاب قد اذى زيدا حتى اخرجه الى اعلا مكة فنزل حراء فاستعان بها مكة وكل
به الخطاب شبانا من شباب مكة وسفهاء بها فقال اللهم لا تتركوه يدخل مكة فلما لا بد دخلها
الامر الصعب فاذا علموا بذلك اعلموا الخطاب فاخرجه واذا كراهية ان يفسد عليهم دينهم وقد ثبت تابعه احد

منظم

منهم على فراقهاي دينهم فقال وهو بعظم حرمته على من استخف منه ما استخف من قومه اللهم اني
احرم لاحلة وان بيتي اوسط الحل وعند الصفا ليس بذي نصبه ثم يخرج يطلب دين ابراهيم
وسئل الرهبان والاحبار حتى بلغ الموصل والجزيرة فلما يئس قفل فجال البلاد كلها حتى انتهى
الى راهب عينه من اهل البلقا كان ينتهي اليه علم النصرانية فسأله عن الحنيفية
دين ابراهيم فقال انك لتطلب دينا ما انت بواجد من يحملك عليه اليوم ولكن قد ظل زمان
نبي يخرج من بلدك الذي خرجت منها يبعث بدين ابراهيم الحنيفة فالحق بها فانه مبعوث
الآن هذا زمانه وقد كان زيد شام اليهودية والنصرانية فلم يرض شيأ منها فخرج سريعا حتى
قال له ذلك الراهب ما قال ويقدم مكة حتى اذا توسط بلاد لخم عدوا عليه فقتلوه ولما اشتعار
في التوحيد نفسه منها قوله اسلمت وجهي لمن اسلمت له الارض تحمل صخرا ثقالا دحاها
فلما رآها استوت على الماء رسى عليها الجبال اثقالا وجهي له اسلمت له المزن تحمل عذبا زلالا
اذا هي سيقت الى بلدة اطاعت فصبت عليها سجالا قوله ما قال هذا كثير والمقصود ان نبينا صلى الله
عليه وسلم كان على دين ابراهيم قبل البعثة لا على دين قومه وانه كان يتعبد لدين ابراهيم بقايا في
الجملة والله سبحانه وتعالى الموفق وقد ذكرنا فيما تقدم من فضل الدعاء بالدين ما فيه كفاية
لحديث سهل بن سعد رضي الله عنه في الصحيحين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
لسيدنا علي كرم الله وجهه لان يهدي الله بكم رجلا واحدا خير لك من حمر النعم وحديث
ابي هريرة رضي الله عنه في صحيح مسلم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من دعا الى
هدى كان له من الاجر مثل اجور من تبعه لا ينقص ذلك من اجورهم شيئا وحديث احمد
الا واني سئلت ان اسأل لربي وما يكفيه واهل السموات والارض حتى الحملة في جوها وحتى
الحون ليصلون على معلم الناس الخير وقد تقدم ما يكفي ويشفي قلا نطيل بذكر الاعادة حيث
حصلت الافادة وفضل الدعاء الى الله معلوم والترغيب فيه مفهوم ولله در جمال الدين من
واسى بلاصها واستنزعها من شرك ابليس وحزبه فاقتفاصها وهذا القدر يكفي المنصف ويرشد
المسترشد ويشفي المستوفز والله ولي التوفيق فلا ارب لنا سواه ولا اصعد الا اياه
وقوله رضي الله عنه بعد ما ذكر ما تقدم من صفاة العلما الذين فهم بهم العلم على حقيقة الامر فهاه

قد قدمنا الكلام على هذه اللفظة في اول الكتاب وقوله رضي الله عنه شوقا الى لقائه وترجم عليه منصوب على انه مفعول مطلق اى شاق شوقا او مفعول لاجله اى اتاه لاجل الشوق الى رؤيته ثم قال في القاموس الشوق نزاع النفس وحركة الهوى وهم اشواق وقد شاقني حبها اياي كشوقني انتهى وقد روضة المستهام المحبين ونزهة المشتاقين للامام ابن القيم فلله سؤاله رضي الله عنه الشوق سفر القلب الى المحبوب وقد وقع هذا الاسم في السنة ففي المسند من حديث عمار بن ياسر رضي الله عنه انه صلى صلاة فاوجز فيها فقيل له اوجزت يا ابا اليقظان فقال لقد دعوت فيها بدعوات سمعتهن من رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو بهن اللهم بعلمك الغيب وقدرتك على الخلق احيني اذا كانت الحياة خيرا لي وتوفني اذا كانت الوفاة خيرا لي واسألك خشيتك في الغيب والشهادة واسألك كلمة الحق في الرضا والغضب واسألك القصد في الفقر والغنى واسألك النعيم لا ينفد واسألك قرة عين لا تنقطع واسألك الرضى بعد القضاء واسألك برد العيش بعد الموت واسألك لذة النظر الى وجهك والشوق الى لقائك في غير ضراء مضرة ولا فتنة مضلة اللهم زينا بزينة الايمان واجعلنا هداة مهتدين وحداة وانر لسريرتي طال شوقي الامر الى لقائي وانا الى لقائهم اشوق وقد قال تعالى من كان يرجوا فان اجل الله لآت قال بعضهم لعارفهم لمعلهم شوق المحبين الى لقائه ضرب لهم موعدا للقاء تسكن به قلوبهم ثم قال وهذه الدقيقة بنى اسمها الحب قال في الصحاح الشوق والاشتياق نزوع النفس الى الشيء يقال شاقني الشيء فهو شائق وانا مشوق وشوقني فتشوقت اذا هيجك الشوق يشوق قال الشاعر يا دار سلمى يا دارا دريك البرق اسقى البرق لقد هيجن شوقي المشتاق يريد المشتاق قال سيبويه هو مما ليس عليه مجموز ضرورة انتهى وهو في كلام سيدنا علي رضي الله عنه يشعر بتحريك نفسه الشريفة ونزاعها الى ربه هو لا الكمال بما يليق بهم من المعارف والعلوم التي خذه الاسيد لها الاخوان على العالم المحلون الانارة البيوت بانوار اشعار عدم حبهم بالسيد نا على يشوقني الى رؤيتهم ولم تزل الاخيار تشتاق الى رؤية الابرار وسماع من ماثلهم الامام الحافظ ناصر السنة ابو الفرج بن الجوزي في كتابه لما ورد العذب الماوي الذي قد قدر البعد سببا وعذبني بالشوق وهو شديد وخصني بالصبر دوني وخصني

بحزن

بحزن عليكم يبتدي وبعيد وصيرني مهما شئتم تليكم اشد لقلبي راحة وابعد لعذاب قلبي فجعوني عليكم على انه قد نابني جليد فيا ليت شعري هل الى العيش حين وكابدت من جور الفراق مزيد ليبني عاد ذكر الوصل او عاد بعضه وهيهات منه اني لسعيد على انها الاقدار قد تبعد الهوى قريبا وقد تدنيه وهو بعيد واعلم ان الشوق الى اهل المحبة والشوق من لباب المعرفة وتحقق المقامات الشريفة واما ما عداهم من الرعاع فهي البعد عنهم غاية السلامة والانتفاع وبذلك دلت الاحاديث الصحيحة حيث سوت بين الذهبان من قبل وقال فما قاله من لقي الناس الا اخذ العلم او اصلاح حال فواشقاه لنقلة الاخيار فوا لهفاه لمحل الاسرار ليت شعري كيف تاوه الامام في تلك الايام على روية الكرام والدين عض والزمان فاني الخلافة الحقيقة وبقايا شمس النبوية على صفات تلك العلوية مشرقة والبلدان مشحونة بافضل القرون الذين هم الصحابة والمدن مملوة من التابعين الذين هم بعد القرن الاول خير عصابة فاما كل بزمان درست فيه معالم الايمان ولم يبق منه الا الرسمة وليس يرى في الخلق من الدين الا السمة فواهلهفاه وواهاتر واهاتكاد تذوب روحي منحواها اذا ما غنى لي تذكار نجد اخال النفس لا تبقى سواها ديار احبتي وربوع انسي بها وحبيب قلبي في لواها فلا قلبي يطيعهم لغير نجد ولا بهوى الفؤاد سواهاها ولا تستقي بروحي الا هيمي ولا اهوى الفؤاد بلى ذراها على تلك الربوع وساكنيها سلام الله ما رأس بنواها وما دارت اكاويب التصابي وما درت الغمام بمن رواها فعلى كل الاعامة هذا الزمان الذين وجودهم كالعدم بين المعلوم بداهة انا رخصي والسعيد منهم من صباح وليلة على اغواره قد اضحى وامسى بهذا في هذه الاعصار فهو اعز من منحقا هم غرب في تلك القرى والامصار وما احسن قول من قال حل طرفي والليالي كنت حلي فالحمى اقفر من جار واهلي ولحم من لم يزد ما طعم الهوى الا ليوصل في اشغل شغل هذه من بعدهم اثارهم ورقوق بني الاطلال ليبلى ما وقوف في محل ساكن في فؤاد اهله الا في المحل يعني عليكم صب بكم مستهام واليكم محمد الحمل حملوني الحق من هجركم وارحموا من الاطاقة ثقل فعسى يدني المنى منيتي واعطفوا اري اطيب لعلي

شبكة الألوكة www.alukah.net

الاستغفار

وقوله رضي الله عنه واستغفر الله لي ولكل المؤمنين طلب المغفرة من الله جل شأنه لنفسي
كما ورد ائتوا بكل عمل وكل لحبيب فاحبيل ولم يخص نفسه رضي الله عنه استثنالا لامر النبي صلى الله
عليه وسلم قول السيد عليه الصلاة والسلام سمع عليا رضي الله عنه يدعو افقال ياعلي عم فان
فضل العموم على الخصوص كفضل السماء على الارض وفي الترمذي وقال حسن صحيح عن ابي بن
كعب رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قد دعا له بدا بنفسه فالمستغفر طالب وأصل
الغفر الستر العظيم يقال غفر الله لك يغفر غفرا وغفرانا فهو غفور والمغفرة اسم من الله تعالى
العفو للذنب كما في النهاية وفي شرح الاربعين النووية للكافيجي وجه الاستغفار
طلب المغفرة والمغفرة هي وقاية شر الذنوب مع ستره اهـ وكثر في القرآن ذكر الاستغفار
عبارة بصورته كقوله تعالى واستغفروا الله ان الله غفور رحيم وان استغفروا ربكم ثم توبوا
اليه وتارة بمدح اهله كقوله والمستغفرين بالاسحار وقوله وبالاسحار هم يستغفرون
الى غير ذلك من الايات القرآنية وكثيرا ما يقرن الله تعالى الاستغفار بذكر التوبة فيكون
الاستغفار حينئذ عبارة عن طلب المغفرة باللسان والتوبة عبارة عن الاقلاع عن الذنوب بالقلب
والجوارح وتارة يفرد الاستغفار ويرتب عليه المغفرة كما ذكر في حديث ابن ادم لو بلغت
ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني غفرت لك وما اشبهه من الاخبار فقيل اريد بالاستغفار
المقترن بالتوبة وقيل نصوص الاستغفار المفردة كلها مطلقة تقيد بما ذكر في اية آل
عمران من عدم الاصرار فان الله وعد فيها المغفرة لمن استغفره من ذنوبه ولم يصر على
ما فعله فيحمل النصوص المطلقة في الاستغفار كلها على هذا المقيد وبمجرد قول القائل اللهم
اغفر لي يطلب منه المغفرة ودعا بها فيكون حكمها حكم سائر الادعية ان شاء اجابه وغفر
لصاحبه الا ان يخرج عن حلب منكسر بالذنب او صادف ساعة اجابة كالاسحار وبعد
وادبار الصلوات وبروى ان لقمان عليه السلام قال لابنه يا بني عود لسانك اللهم اغفر لي فان
لله ساعات لا يرد فيها سائلا وقال الحسن اكثروا من الاستغفار في بيوتكم وعلى موائدكم
وفي طرقكم وفي اسواقكم وفي مجالسكم اينما كنتم فانكم لا تدرون متى تنزل المغفرة وروى
ابو داود والترمذي عن ابي بكر الصديق رضي الله عنه ما اصر من استغفر وان عاد في اليوم
سبعين

سبعين مرة واما استغفار اللسان مع اصرار الجنان على الذنب والعصيان فهو مجرد
دعاء ان شاء الله اجابه وان شاء رده وقد يكون الاصرار مانعا من الاجابة وفي المسند
عن عبد الله بن عمر مرفوعا وقيل للذنب يضرون على ما فعلوا وهم يعلمون والمرجح ابن
ابي الدنيا عن ابن عباس مرفوعا التائب من الذنب كمن لا ذنب له والمستغفر من ذنب
وهو مقيم عليه كالمستهزئ بربه قال العراقي لم اجد له اصلا مرفوعا ولا موقوفا وقول
القائل استغفر الله متضمنا طلب مغفرته فلو كرر اللهم اغفر لي والاستغفار التام
الموجب للمغفرة لا ينشأ الا من قلب سليم فيما قارن عدم الاصرار كما مدح اهله العفار
ووعدهم المغفرة والفوز في دار القرار قال بعضهم اطلعت في جملة من تكرر منه استغفارة
نصيح توبته فهو كاذب في استغفاره وقال بعضهم تقول استغفارنا يحتاج الى
استغفار كثير ولذا قال بعضهم استغفر الله من استغفر الله من لفظة يدين تخالف
معناها وكيف يرجو اجابة الدعاء وقد سد على نفسه باب الذنب عند الله بحراها فافضل
الاستغفار ما اقترن به عدم الاصرار وهو جميع توبة نصوح وسلبه القرب والاجابة
ممنوح واما ان قال بلسانه استغفر الله وقلبه مصر مقيم بجنانه فهو داع لله بالمغفرة
وقد يرجى له الاجابة والمعذرة فان العفو عمد فيح فيما عند المقدرة واما قول من قال
من العارفين هو توبة الكذابين فمراده انه ليس بتوبة كما يعتقده بعض الناس وهذا حق
فان التوبة لا تكون مع الاصرار واما من قال استغفر الله واتوب اليه فان كان مصرا
بقلبه على معصية ربه فهذا كاذب في قوله وخاس في طوله اذ لا يجوز له الاخبار عن نفسه
بالتوبة وهو مصر على المعصية والحوبة واما ان كان مقلعا عن المعصية بقلبه صادرا
الى ربه في غفران ذنبه فكرهه الحققون وغيرهم كما حكاه الطحاوي وهو اما هو وتحريم
قال الربيع بن خيثم يكون قوله اتوب اليه كذبة وذنبا ولكن ليقل اللهم تب علي ويقول
اللهم اني استغفرك فتب علي قال الحافظ ابن رجب وهذا قد يحمل على من لم يقلع بقلبه وهو
بحاله اشبه قال وكان محمد بن سوقة يقول في استغفاره استغفر الله العظيم الذي لا اله
الا هو الحي القيوم واسأله توبة نصوحا وجمهور العلماء على جواز ان يقول التائب

سبب الاستغفار

مطلب

اتوب الى الله واعاهد العبد ربه على ان لا يعود الى المعصية فان العزم على ذلك واجب
عليه وفي حديث كفارة المجلس استغفرك اللهم واتوب اليك وقطع النبي صلى الله عليه وسلم
سارقا ثم قال استغفر الله وتب اليه فقال استغفر الله واتوب اليه فقال اللهم تب عليه
خرجه ابو داود واستحب جماعة من السلف الزيادة على قول استغفر الله وتوب اليه
فروي عن عمر رضي الله عنه انه سمع رجلا يقول استغفر الله واتوب اليه فقال يا هذا
كل توبتي لا يملك لنفسه ضرا ولا نفعا ولا موتا ولا حياة ولا نشورا وسيل الاوزاعي
عن الاستغفار أيقول استغفر اللهي الذي لا اله الا هو الحي القيوم واتوب اليه قال ان هذا
الحر هو لكن يقول رب اغفر لي حتى يتم الاستغفار قال الحافظ ابو بكر الخطيب وافضل انواع
الاستغفار ان يبدأ العبد بالثناء على ربه ثم يثني بالاعتراف بذنبه ثم يسأل الله المغفرة
كما في حديث شداد بن اوس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال سيد الاستغفار ان يقول العبد
اللهم انت ربي لا اله الا انت خلقتني وانا عبدك وانا على عهدك ووعدك ما استطعت
اعوذ بك من شر ما صنعت ابوء لك بنعمتك علي وابوء بذنبي فاغفر لي فانه لا يغفر الذنوب الا انت
رواه البخاري وفي الصحيحين عن عبد الله بن عمر ان ابا بكر الصديق رضي الله عنهما
قال يا رسول الله علمني دعاء ادعوه في صلاتي قال قولي اللهم اني ظلمت نفسي ظلما كثيرا
وانه لا يغفر الذنوب الا انت فاغفر لي مغفرة من عندك وارحمني انك انت الغفور
الرحيم واخرج ابو داود والترمذي انه صلى الله عليه وسلم قال اذا قال العبد استغفر
الله الذي لا اله الا هو الحي القيوم واتوب اليه غفر له وان كان فر من الزحف واخرج
الامام احمد والحاكم وقال صحيح الاسناد عن ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعا من
لزم الاستغفار جعل الله له من كل هم فرجا ومن كل ضيق مخرجا ورزقه من حيث لا
يحتسب وابن ماجة باسناد صحيح عن عبد الله ابن بسر قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم طوبى لمن وجد في صحيفته استغفارا كثيرا والبيهقي باسناد لا باس به عن ابن بن
رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال مناجب ان تسره صحيفته فليكثر فيها
من الاستغفار والحاكم وقال صحيح الاسناد عن ام عصمة العوصية رضي الله عنها قالت قال
رسول الله

رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من مسلم يعمل ذنبا الا وقف الملك ثلاث ساعات فان استغفر
من ذنبه لم يوقف عليه ولم يعد به يوم القيامة والبيهقي عن انس مرفوعا ان للقلوب صدا
كصدا النحاس وجلاءها الاستغفار وعن علي كرم الله وجهه قال كنت اذا سمعت
من رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثا نفعني الله منه بما شاء ان ينفعني واذا حدثني
احد من اصحابه استحلفته فاذا حلف لي صدقته قال وحدثني ابو بكر وصدق ابو
بكر انه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما من رجل يذنب ذنبا ثم يحسن
الطهور ثم يقوم فيصلي ركعتين ثم يستغفر الله الا غفر له ثم قرأ هذه الآية والذين
اذا فعلوا فاحشة او ظلموا انفسهم الى آخرها رواه ابو داود والترمذي والنسائي
وابن ماجة وابن حبان في صحيحه وليس عند بعضهم ذكر الركعتين قال الترمذي حديث
حسن غريب وذكر ان بعضهم وقفه واذا ثبت الاستغفار للكبير ان تذكروا ما ذكرنا
لمشابهته استغفار سيدنا الامام علي رضي الله عنه وكرم الله وجهه ثم ان الامام
قال الكميل بعد تمام الحديث وطلب المغفرة لنفسه ولكميل لكمال انتفاعه بما سمعه
عنه اذا شئت فقم اذا طرفه شطبة وتاملها شطرا فما في معنى جوابها وتبينه
من المثلبة تقول شئته اذا اردته وقوله فقم الخ في جواب اذا وقم فعل امر من
القيام وهذا امر اباحة ومنع علقه على مشيئته لما لم يجد بدا ولا وثيقة
والتي عليه من العلوم ما اراد القاءه اليه قال له اذا شئت فهم فقد القيت اليك ما اردت
القاءه بحسب ما يتسع اليه عطنك ومن العلوم ان ادب كميل منعه من القيام ولو
طال عليه المقام ما امر باذنه الامام فلما اذن له صار في حكم مشيئته نبه على ذلك
القيام وغيره والمثلبة والامر لله جل شانه وتعالى سلطانه ووقدان اوان الجد عان
القلم والله تعالى ولي الاحسان بجق محمد وآله في عاشر ربيع الاول سنة ١١٩٣

قاله مولفه رحمه الله تعالى وكان الفراغ من كتابتها صحوة الاثنين المبارك عن رجب
الحرام الذي هو من شهور سنة ١١٩٩ اما الصلاة على سيدنا محمد وعلى معاجزها الى صلاة يوم الدين
من اعمال نابلس تغمده الله بغفرانه ولوالديه ولمشايخه ولمن دعا لهم بالمغفرة
ولجميع المسلمين امين امين

شبكة الألوكة
www.alukah.net

فائدة

في أمالي أبي إسحاق الهاشمي بسنده عن ابن عمر رضي الله عنهما قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إن أبى الجنان بهل الرجل أهل ودابه بعد أن يولى الأب فابية في روح العلم في الخليفة العباسي الناصر لدين الله بسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لرجل وهو يعظه اغتنم خمسا قبل خمس شبابك قبل هرمك وصحتك قبل سقمك وغناك قبل فقرك وفراغك قبل شغلك وحياتك قبل موتك وجزجه الحاكم وصححه وأخرج الخليفة المذكور في الكتاب المزبور عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ثلاث منجيات وثلاث مهلكات فأما المنجيات فخشية الله في السر والعلانية والقصد في الغنى والفقر والعدل في الرضى والغضب وأما المهلكات فشح مطاع وهوى متبع وإعجاب المرء بنفسه وأخرج الخليفة المذكور في الكتاب المزبور عن عمار رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة لا يكون إلا خيرا وكثيرا ما يكون ولعظا وكثيرا ما يبقى غنى وبالعبادة شغلا وأخرج ايضا عن ابن عمر رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الذنب لا ينسى والبر لا يبلى والديان لا يموت فكن كما شئت فكما تدين تدان وأخرج ايضا عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال قال النبي صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى الناس صنفان وأخرج ايضا عن ابو هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال يا بني هاشم يا بني قصي يا بني عبد مناف انا النذير العريان فالنجاء النجاء والساعة الموعد وأخرج ايضا عن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تنظروا في نعم الله فتعموا ولكن انظروا على من اختراتم وأخرج عن انس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اربع من الشقاء جمود العين وقسوة القلب والحرص وطول الامل وأخرج عن قيس بن عاصم رضي الله عنه قال وفدت مع جماعة من بني تميم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخلت وهو يخطب اصحابه فسمعته يقول خاطب يا بني الله عظنا خطبة نتفرق بها فما قمنا حتى نفيض في البر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا قيس ان مع العز ذلا وان مع الحياة موتا وان مع الدنيا آخرة وان للدنيا حسيبا وعلى كل شئ رقيبا وان لكل حسنة ثوابا وعلى كل سيئة عقابا وكل امرئ قرينان قرين يشيعه من معه وهو حي وقرين يدفن معه وهو ميت فان كان كريما أكرمه وان كان لئيما أسلمه ثم لا يحشر الا معه ولا يبعث الا معه ولا يسئل الا عنه فلا تجعله الا صالحا فانه ان صلح انست به وان فسد لا تستوحش الا منه وهو فعلك وأنت

فائدة

الامام الحافظ شمس الدين أبو عبد الله محمد بن احمد بن عثمان التركماني الفارقي الاصل الدمشقي المولد والمنشأ الذهبي الشافعي الاثري صاحب التصانيف المشهورة في الجرح والتعديل في نقد الرجال ولد سنة ثلاث وسبعين وستمائة وتوفي ليلة الاثنين ثالث ذي القعدة سنة ثمان واربعين وسبعمائة ودفن من الغد بمقبرة الباب الصغير من دمشق رحمه الله تعالى وعفى عنه سمع الكثير بنفسه وبالاجازة نحو الف شيخ وتلا به شيخ جمعهم معجم الكبير وهو نحو ثمانمائة شيخ الاسلام ابن تيمية رضوان الله عليه في الكتاب المزبور وما ابقى في نقد الرجال عمدة في الجرح والتعديل عالما بالتفريع والتاصيل اماما في القرآن فقيها في النقل بارعا فيما يتعلق بعلم السنة ومذهب السلف رحمه الله ورضي عنه وما احسن قوله

الفقه قال الله قال رسوله ... ان طاح والاجماع فاجتهد فيه

وحذار من نصب الخلاف جهالة ... ابن النبي وبين رأي فقيه

لطيفة ذكر الذهبي في كتاب العرش

قال لما دخلت امرأة ابراهيم على زوجها فقالت يا ابراهيم هذا وجبريل الذي يحدثك عن العرش من زبرجدة فقال بحرمة الذي يحدثك قال ولكنها بادية الاسنان ونقل في الكتاب المذكور عن الاصمعي قال قدمت امرأة جهم فقال لرجل عندها الله على عرشه فقالت محدود فقال الاصمعي هي كافرة بهذه المقالة

قال شيخ الاسلام ابن تيمية رضوان الله عليه في كتابه شرح الاصفهانية قال الله تعالى الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به ويستغفرون للذين آمنوا فاخبر ان حملة العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به ويستغفرون للذين آمنوا وهذا يدل على ان العرش مخلوق وان حملته يعلمون ذلك ويؤمنون به ويستغفرون لمن آمن به وهذا يدل على ان الله فوق العباد وان الابصار لا ترى الا ما هو فوقها فلو كان صريح ومقتضى النصوص يعلم هذا من اتباع جهم وانهم يقولون ان الله في كل مكان وان الابصار لا ترى شيئا من المخلوقات ولا يقرون بشئ من ذلك قال وهذا قد يكون قول الغالبة الذين يقولون لا يدخل النار من اهل التوحيد احد قال الكرماني معنى احكم به هذا القول اذا علم انه حكمه في الكتب ولا يعتبرون قائليه ومن وافقهم من الاخلاف له من الاسلاف والمناقضين يقولون لا يضر مع الايمان ذنب ومع التوحيد وبعض كلام الرازيين على المرجئة ومقولهم يعطي

والله تعالى اعلم

ترجمة الذهبي

مطلب

الرجوع من النشأ

موعظة

وهو حي وتذهب معه وان مت معك وان كان كريما أكرمك وان كان لئيما أسلمك ثم لا يحشر الا معك ولا يبعث الا معه ولا يسئل الا عنه فلا تجعله الا صالحا فانه ان صلح انست به وان فسد لا تستوحش الا منه وهو فعلك

فائدة

الامام الحافظ شمس الدين أبو عبد الله محمد بن احمد بن عثمان التركماني الفارقي الاصل الدمشقي المولد والمنشأ الذهبي الشافعي الاثري صاحب التصانيف المشهورة في الجرح والتعديل في نقد الرجال ولد سنة ثلاث وسبعين وستمائة وتوفي ليلة الاثنين ثالث ذي القعدة سنة ثمان واربعين وسبعمائة ودفن من الغد بمقبرة الباب الصغير من دمشق رحمه الله تعالى وعفى عنه سمع الكثير بنفسه وبالاجازة نحو الف شيخ وتلا به شيخ جمعهم معجم الكبير وهو نحو ثمانمائة شيخ الاسلام ابن تيمية رضوان الله عليه في الكتاب المزبور وما ابقى في نقد الرجال عمدة في الجرح والتعديل عالما بالتفريع والتاصيل اماما في القرآن فقيها في النقل بارعا فيما يتعلق بعلم السنة ومذهب السلف رحمه الله ورضي عنه وما احسن قوله

الفقه قال الله قال رسوله ... ان طاح والاجماع فاجتهد فيه

وحذار من نصب الخلاف جهالة ... ابن النبي وبين رأي فقيه

لطيفة ذكر الذهبي في كتاب العرش

قال لما دخلت امرأة ابراهيم على زوجها فقالت يا ابراهيم هذا وجبريل الذي يحدثك عن العرش من زبرجدة فقال بحرمة الذي يحدثك قال ولكنها بادية الاسنان ونقل في الكتاب المذكور عن الاصمعي قال قدمت امرأة جهم فقال لرجل عندها الله على عرشه فقالت محدود فقال الاصمعي هي كافرة بهذه المقالة

قال شيخ الاسلام ابن تيمية رضوان الله عليه في كتابه شرح الاصفهانية قال الله تعالى الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به ويستغفرون للذين آمنوا فاخبر ان حملة العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به ويستغفرون لمن آمن به وهذا يدل على ان العرش مخلوق وان حملته يعلمون ذلك ويؤمنون به ويستغفرون لمن آمن به وهذا يدل على ان الله فوق العباد وان الابصار لا ترى الا ما هو فوقها فلو كان صريح ومقتضى النصوص يعلم هذا من اتباع جهم وانهم يقولون ان الله في كل مكان وان الابصار لا ترى شيئا من المخلوقات ولا يقرون بشئ من ذلك قال وهذا قد يكون قول الغالبة الذين يقولون لا يدخل النار من اهل التوحيد احد قال الكرماني معنى احكم به هذا القول اذا علم انه حكمه في الكتب ولا يعتبرون قائليه ومن وافقهم من الاخلاف له من الاسلاف والمناقضين يقولون لا يضر مع الايمان ذنب ومع التوحيد وبعض كلام الرازيين على المرجئة ومقولهم يعطي

والله تعالى اعلم

شبكة الألوكة www.alukah.net

لطيفة رأيت في بعض التواريخ

لما قدم آل الحسين الشام لقيهم الناس بالميا والعويل فقال لهم الامام اهل المدينة يعني ما ذا تقولون ان قال لكم ماذا فعلتم وانتم الخبر الامم
ما لنا ان هذا الخبر اذ نصحن لكم ان تخلعوني في ولدي وفي حرم
وبري ان يزيد العنيد لازالت اللعنة تتبعه عليه وتعيده قال ابو بكر بن السمين
عليه السلام بين يديه متمثلا بالبيت الاول من شعر ابن الزبعرى تعلق هاشم رجال
احمرة اعلينا وهم كانوا اثق واظلما ثم قال ابن شعر ابن الزبعرى والثاني
من شعره علما في بعض التواريخ ليت اشياخي ببدر علموا جرح الخزرج من وقع الاسل
لست من عتب ان لم انتقم من بني احمد ما كان فعل وبروى انه قالها
شاهد ما هدت آل الحسين لما بدت تلك الاشائم واشرفت تلك الرؤس على
شفا جيرون نعب الغراب فقلت قل او لا تقل فقد اقتضيت من الرسول ديون
اقول هذا الشعر والبيت الذي قبله كله هراج لوثب عن يزيد العنيد ما
توقف في تكفيره والله سبحانه وتعالى اعلم فائدة
تنبيه قد علم وتقرر ان سيدنا ابراهيم بن تارح وهو آزر وان لوطا بن هاران بن تارح
فلوط بن اخ ابراهيم ولا خلاف في قلب سيدنا ابراهيم وسارة بنت هاران الاكبر وهو
عم ابراهيم وقد ذكر اهل التاريخ الاخباري ان سارة بنت هاران وسلكوا ان لوطا
ابن هاران وان هاران اخ ابراهيم فلت انعجب لذلك حتى رايتها بعضهم قال ان سارة بنت
هاران الاكبر وعلمنا بان لوطا بن هاران الاصغر ثم في ذلك بينا ان خلافا ان ذكروا تاريخه
وفيات الاعيان في ترجمة بنات بن معمر قرة بن زهير وون الصابي الحكيم الغيلسوف
الحراني ما نصه والاخوان شيعة الحران وقد حدثني شيخنا ابو الحرة ذاكر ابن جزلة الطبيب
رحمه الله تعالى انها هاران عم ابراهيم الخليل عليه السلام عمر ها فسميت باسمه وقيل انها انما
انها عرفت بقبيل حران وهاران المذكور ابو سارة زوجة ابراهيم الخليل عليه وعلى نبينا
افضل الصلاة والسلام قال ولما ان لابراهيم عليه السلام اخ يسمى بهاران وهو ابو لوط

لوط عليه السلام انتهى ظهر هذا ان هاران عم ابراهيم ابو سارة وهاران اخ ابراهيم ابو لوط
وان هاران عم ابراهيم هو ملك حران فانه يوجد في نسب سارة بنت هاران وقيل بنت ملك
حران قلت وهو الذي قرأته في التوراة انها بنت ملكا حران فعلى ما ذكر ناجز بر
الطبري هاران وملك حران واحد وهو عم ابراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام
وانما ذكرت هذه الفايدة لاني ذكرت في بعض كتبي ذلك استنباطا من قول بعضهم
سارة بنت هاران الاكبر فاخذت منه بانه غير ابن لوط فوافق المنقول ولله الحمد
فايدة روى الطبراني باسناد صحيح من حديث ابي هريرة رضي الله عنه قال
قال النبي صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لا تقوم الساعة حتى يعظم الخشي
والنحل ويخون الامين ويؤتمن الخاين وتهلك الوعول وتظهر التحوت الذين كانوا
تحت اقدام الناس لا يعلم بهم هكذا اسمعت في لفظ هذا الحديث وفي كتاب غريب
الحديث لابي عبيد القاسم بن سلام رحمه الله تعالى بعد سياق الحديث قيل
يا رسول الله ما الوعول والتحوت قال الوعول وجوه الناس واشرافهم والتحوت
الذين كانوا تحت اقدام الناس لا يعلم بهم والله اعلم فايدة للفالج البلغمي قسط
مر ثلاثون درهما سليخة ومركوش من كل واحد خمسة دراهم يرض من ذلك ما يجب
رضه حريشا وينقع في خل حد ما يغمره يومين وليلتين ويلقى عليه طابزد
زيتا ويغلى على نار هادية حتى يذهب الخل ويبقى الزيت فيضاف اليه بعد
تصفيته سنبل رومي ومعه سيا الهو قرنفل وجوز طيب من كل واحد مثقال
ونصف جلد باسنس درهم مسحوقه منخولة فتخلط جيدا ويدهن به فانه
نافع جدا والله اعلم فايدة اوصل الحافظ ابن حجر في شرح البخاري
الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل الا ظله اربعة عشر منهم سبعة في الصحيحين
وهم الامام العادل وشاب نشأ في عبادة ربه ورجل معلق قلبه في المساجد
والمتحابان في الله ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال اني اخاف الله رب
العالمين ورجل تصدق بصدقة فاخفاها حتى ما تعلم شماله ما انفقت

الوعول وجوه الناس

بمينه ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه فضلا في الصحيح ونظمهم ابو شامة
في قوله وقال النبي المصطفى ان سبعة يظلهم الرحمن تحت ظل عرشه بتخفيف
ثاني مصدق وبال مضل والامام بعدله اشار والاشارة الى قوله قال الحافظ ابن حجر
وسبعة الاحاديث الواردة في ذلك يبقى من يظلهم الله في ظله سوى من تقدم
ذكرهم فزد انت على عشر خصال قال وقد تتبعت منها سبعة اظلال عار وهو عرشه والسار
من عسر وركن باسانيد جياد ونظمتها في بيتين تذييلا على بيت ابي شامة وهما

وزد سبعة اظلال غار وعونه ٭ وانظار ذي عسر وتحقيق حمله
وارفاد ذي عزم وعون مطالب ٭ ونار مصدق في المقال وفعله

فاما اظلال الغار ذي فرواه ابن حبان وغيره من حديث ابن عمر واما عون الحاج فرواه
الامام احمد والحاكم من حديث سهل بن حنيف واما انظار المعسر والوضيعة عنه
في الصحيحين من حديث ابي اليسر واما ارفاد الغارم وعون المطالب فرواه الامام
احمد والحاكم من حديث سهل بن حنيف واما الناجر الصدوق فرواه البغوي في شرح
السنة من حديث سلمان بن فايدة وفي عوالي ابي الفتح سليم بن ايوب الرازي عن مالك
يعني ابن دينار قال الله تبارك وتعالى امر بقوم ان تعذب فضجوا الملايكة وقالت يارب
قوم عبدك فلان العابد قال اسمعوا فضجيه فانا وجهه لم يتمعر غضبا لجاهي
ورواه ابن ابي حاتم وفي عوالي ابي الفتح ايضا عن محمد بن الحنفية رضي الله عنه
وعن ابيه قال ليس بحكيم من لم يعاشر بالمعروف فلم يجد من معاشرته بدا حتى
يجعل الله له فرجا ومخرجا نقلته من خط مصنفه رحمه الله تعالى وعفا عنه وصفحه

بلغ مقابلة على نسخة المولف
حسب الامكان

شبكة الألوكة
www.alukah.net